

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

بناء المعنى في القصة القرآنية

إعداد الطالب:

أحمد علي حسين الربابعة

إشراف:

الأستاذ الدكتور زهير المنصور

رســـالة مقدمــة إلى عمــادة الدراســـات العليـــا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة

في الأدب قســـم اللغـــة العربيـــة وآدابهـــــا

جامعة مؤتة، 2008

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب احمد علي الربابعة الموسومة بـــ:

بناء المعني في القصة القرآنية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في **اللغة العربية.**

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. زهير أحمد منصور		2008/04/09	مشرفاً ورئيسا
أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل		2008/04/09	عضواً
أ.د. محمد حمد الغرايبة		2008/04/09	عضواً
د. يوسف عواد القماز		2008/04/09	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. حسام الدين المبيضين



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهـــــداء

إلى روح أبي الذي ما أحب من المسطور شيئاً مثلما أحب القرآن.

إلى أمي التي برضاها أرجو أن أنال رضا الرحمن .

إلى زوجتي وشق نفسي التي آمنت بأن العلم لا يحول دونه الشيب ولا يقال لطالبه فات الأوان.

إلى فلذات كبدي وامتدادي في الحياة: "سيف الدين، ومحمد رسول، وآلاء، وزين، ومي، ورزان، ونور" الذين رسموا حروف هذا العمل العلمي وما كلّ لهم طرف ولا بنان.

إليكم جميعاً يا من أسستم وهيّأتم وساهمتم بإخراج هذا الجهد من الحلم إلى الحقيقة، إهداء محبة ووفاء وعرفان.

أحمد علي الربابعة

الشكر والتقدير

الحمد لله سعة علمه ورضاء نفسه ومداد كلماته، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المهتدين.

أقدّم جزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الأستاذ الدكتور زهير أحمد المنصور الذي تكرّم وأشرف على هذه الرسالة فأفدت من توجيهاته واقتراحاته التي كان لها بالغ الأثر في إخراجها على الصورة التي أنجزت فيها. وأقدم جزيل الشكر وبالغ التقدير للأساتذة الأجلاّء المناقشين لهذه الرسالة: الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي الخليل، والأستاذ الدكتور محمد حمد الغرايبة، والدكتور يوسف القمّاز، آملاً أن تنال هذه الرسالة ثقتهم وأن أنتفع بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة. وأقدّم جزيل الشكر لأخي وصديقي الدكتور حسن ربابعة الذي جذبتني مودّته ونصائحه إلى جادّة العلم والتحصيل، ومزيد الشكر والامتنان لكل من أهداني كتاباً أو أعارني بعض كنوز مكتبته أو ساعدني في الوصول إلى مصدر أو مرجع في مكتبات الجامعات والبلديات الأردنية، لكل أولئك عظيم الشكر والعرفان، ولهم من الله حسن الجزاء.

أحمد علي الربابعة

فهرس المحتويات

الملخص

بناء المعنى في القصة القرآنية

أحمد علي الربابعة

جامعة مؤتة, 2008

جاءت هذه الدراسة محاولة للكشف عن بعض المعاني الجليلة التي بنيت في القصة القرآنية بأساليب تركيبية عرفها العرب في كلامهم المنثور والمنظوم، ولأن دراسة أساليب بناء المعنى في القصة القرآنية مسألة لا يمكن حصرها في بحث جامعي؛ اقتصرت هذه الدراسة على بعض أساليب بناء المعنى في نماذج من القصة القرآنية؛ فجاءت هذه الدراسة في خمسة فصول:

درست في الفصل الأول: المعنى في الدراسات النقدية والبلاغية. وفي الفصل الثاني درست التشبيه فقدمت له بدراسة نظرية موجزة ثم عرضت نماذج من القصة القرآنية بُني فيها المعنى بأسلوب التشبيه بأقسامه وأدواته المعروفة عند البلاغيين. وفي الفصل الثالث درست التمثيل الذي يُعد أخص من التشبيه، وبينت أثره في بناء المعاني في نماذج من القصة القرآنية. وفي الفصل الرابع درست أسلوب الإيحاء وأثره في بناء المعاني في القصة القرآنية، وبينت المعاني الإيحائية التي أشارت إليها تلك النماذج. وفي الفصل الخامس درست أسلوب النداء وأثره في بناء المعاني في القصة القرآنية، وعرضت نماذج قصصية ظهر فيها استخدام صيَغ مختلفة للنداء، وتعددت المعاني في بعض تلك النماذج، مع أن صيغة النداء كانت واحدة، وفي ذلك إظهار لقدرة اللغة العربية على توليد المعاني المختلفة من صيغ نداء متشابهة.

Abstract

" Designing in Qura'n Tale A stylistic and rhetorically study"

Ahmad Ali AL-Rabab'ah
Mutah University, 2008

This study aims at discovering some denotative and connotative meanings which are embedded in Qura'n tale in phrasal constructions in there cultural prose and poetry speech.

Since the constructions of embedding the assigned meanings in tale is a very wide issue this study is meant to focus on some of these constructions.

Though, the study is made of five chapters:

Chapter one deals with the semantics of the critical and rhetorical studies, a rhetorical study.

Chapter two deals with similes and metaphors in a rhetorical view also. Samples of the Qura'n tale were being presented in which the assigned meaning was metaphorically constructed. A cording to its kinds and its relevant tools, according rhetorical.

Chapter three deals with personification for its being considered much specific and focused more than metaphors. And I showed its impact on constructing the desired meaning in the samples of the Qura'n tale.

Chapter four deals with the "implicature" style and its impact on constructing the semantics of the Qura'n tale. I also presented samples of the semantic meaning which is being refered to in the Qura'n tale.

Chapter five deals with the style of addressing, others in samples taken from Qura'n tales and its impact in constructing the desired meaning generalization.

The Arabic language is capable of generating various meanings in similar constructions.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وبعد:

فإن الحديث عن بناء المعنى في القصة القرآنية، يعني الحديث عن جانب مهم من جوانب بناء المعنى في القرآن الكريم، فالقصة أسلوب من أساليب القرآن في بناء المعاني، وفي القصة وردت أساليب لبناء المعاني جرى من خلالها التركيز على تقريب المعاني البعيدة، وإظهار الخفي حتى يكون جليّاً، والتمثيل للمعقول بالمحسوس حتى يكون مدركاً بالعقل والحس، كل ذلك وغيره تم بأساليب بلاغية عرفها العرب في نثرهم وشعرهم، فالتشبيه، والتمثيل، والإيحاء، والتقديم، والتأخير، والالتفات، والاعتراض، والطباق، والجناس، والحذف، والتكرار؛ كلها أساليب بلاغية استخدمها العرب قبل الإسلام. وجاء القرآن الكريم فاستخدمها في قصصه وأوامره ونواهيه، فلم يكن في هذه الأساليب غريباً عن العرب، لكن القرآن أعجزهم في نظمه وحسن بنائه للمعاني، فما كان لهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

لقد دفعني للكتابة في موضوع بناء المعنى في القصة القرآنية ما قرأته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول:"أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[1]، فالقرآن الكريم متجدد المعاني. والتفكر في معانيه وتدبرها من أكرم الخصال، قال تعالى:((وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ))[2]، وشجّعني على ولوج هذا الأمر رغبتي في تحليل النصوص واستنباط المعاني منها، من خلال رصد أوجه التشابه مع مستجدات الحياة، وقدرة النظم القرآني على توليد الجديد من تلك المعاني.

---

[1]) النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم، (1980)المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت،ج2، ص439.

[2]) سورة القمر،الآية:17

ودراسة بناء المعنى في القصة القرآنية لها أهمية كبيرة في الدراسات البلاغية، حيث تفتح الباب واسعاً أمام الدارس للتعرّف على أساليب القرآن الكريم في التعبير عن أهدافه السامية، بحيث يصل القارئ إلى مبتغاه دون أن يجد في القصة ما يعتري القراء من ملل أو غموض أو ركاكة أو غرابة تشبيه أو قصور تمثيل، فالقصة القرآنية فيها الإمتاع والتثقيف والاعتبار والإنذار والإغراء، والتحذير، كل ذلك جاء بأساليب بيانية وبديعية لا يمكن لبشر الإتيان بمثلها روعة وحسن تعبير ونظم. لذلك كان فيها القدوة لكل ناثر أو شاعر.

ومن أجل إنجاز هذه الرسالة على أحسن صورة أستطيعها، جمعت القصص القرآني ثم درسته مرات متعددة، مركّزاً على الأساليب البيانية في بناء المعنى، فلما وجدت الإحاطة بكل أساليب بناء المعنى في القصة القرآنية فوق طاقتي، قصرت هذه الرسالة على دراسة نماذج من أساليب بناء المعنى في القصة القرآنية. واستعنت على ذلك بدراسة ما استطعت من كتب التفسير القديمة والحديثة، نحو: كتاب الكشاف للزمخشري، وتفسير الخازن، والنسفي، والبيضاوي، وفتح القدير، وابن كثير، والرازي، وغيرها، كما استعنت بكتب البلاغة العربية وكتب إعجاز القرآن، نحو: كتاب البيان والتبيين، وكتاب الصناعتين، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والإيضاح، والعمدة، والمثل السائر، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، والبرهان في علوم القرآن، وغيرها، واطلعت على عدد من الدراسات السابقة التي تناولت القصص في القرآن الكريم، والتي منها: رسالة دكتوراة بعنوان "الفن القصصي في القرآن الكريم" للدكتور محمد أحمد خلف الله، والتي ركز فيها على دراسة القصة القرآنية باعتبارها الصورة الأولى للقصة العربية، وعالج فيها القصة من حيث البناء والتركيب والوحدة التي قامت عليها. وكتاب: "القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته" للدكتور فضل حسن عبّاس، الذي ركز فيه على موضوع التكرار، وبين ما فيه من فوائد في الكشف عن المعاني أو تأكيد الأخبار وتفصيلها. واطلعت على كتاب "الجمان في تشبيهات القرآن" لابن ناقيا البغدادي، فوجدته يعرض بعض

التشبيهات القرآنية ثم يفسر المعنى في الآية، ثم يتبعه بذكر نظم الشعراء في تلك المعاني، وجاء الكتاب على طريقة الموازنة بين التشبيه في القرآن الكريم والتشبيه في الشعر، ثم اطلعت على "الدراسة النصية الأدبية في القصة القرآنية" التي قدمها الدكتور سليمان الطراونه، فوجدتها ركزت على القيم الجمالية الأدبية للقصص القرآني. ولم أجد فيما اطلعت عليه من الدراسات من تناول موضوع بناء المعنى في القصة القرآنية ،دراسة أسلوبية بلاغية، فاستخرت الله تعالى وتوكلت عليه، ثم شرعت ببناء هذا البحث، فجاء في خمسة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع، وجعلت في التمهيد إطلالة موجزة على موضوعات القصة القرآنية، ثم درست في الفصل الأول: المعنى في الدراسات البلاغية والنقدية، وبيّنت مفهوم المعنى لغة واصطلاحاً، ومكانة المعنى في اللغة، وأصناف الدلالات على المعاني، ثم أقسام المعاني ونعوتها.

وفي الفصل الثاني: درست نماذج من التشبيه في القصة القرآنية، بعد أن بيّنت المفهوم اللغوي والاصطلاحي للتشبيه، مع التعريف بأدوات التشبيه وأقسامه، ومكانته في الكلام العربي، وركزت فيما اخترت من نماذج التشبيه في القصة القرآنية على استخدام أدوات التشبيه في السياق القصصي مع بيان المعاني التي أفادها التشبيه والتي منها:التحذير، وإثبات حكم المشبه به للمشبه، والتقليل من شأن المشبه، وتواضع المشبه ونفي ما أُلصق به من صفات ليست له، وتحقير المشبه والسخرية منه، وشدة تلبّس المشبه بالمشبه به، وبيان مدى القدرة الإلهية في الجمع بين الضدّين "تحسبهم أيقاظاً وهم رقود".

وفي الفصل الثالث: درست التمثيل وأثره في بناء المعنى في القصة القرآنية، فاخترت نماذج من التمثيل، كان فيها تقريب للمعنى البعيد أو نقل للمعنى من حال المعقول إلى حال المحسوس، أو بيان أن المعنى البعيد ممكن الوقوع، أو أن المعنى العقلي غير ممكن الإدراك بالحاسة، أو بناء معنى القدرة الربانية على تسخير الأشياء وسلبها بعض صفاتها، أو منحها صفات لم تعرف بها، أو التمثيل للاعتبار

من خلال عرض صور العذاب التي حلّت بالكافرين، أو التمثيل للإغراء من خلال عرض صور النعمة التي حلّت بالمؤمنين، أو التمثيل للاحتذاء في بعض القيم البشرية، أو التنفير من بعض أنماط السلوك، أو للقياس على بعض الصور التمثيلية.

وفي الفصل الرابع: درست الإيحاء في القصة القرآنية، وبيّنت نماذج من المعاني الإيحائية في قصة يوسف عليه السلام، وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة سليمان عليه السلام. وهي معاني تؤسس لمناهج تربوية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية، وسياسية.

وفي الفصل الخامس: درست ظاهرة النداء وأثرها في بناء المعنى في القصة القرآنية، واخترت نماذج من أساليب النداء وبيّنت المعاني التي خرج فيها النداء عن معناه الأصلي سواء باستخدام أداة النداء أم بحذفها أم بالإشارة إلى النداء دون بيان صيغته، فكان من تلك المعاني: إنزال القريب منزلة البعيد لعلو شأنه وبيان رفعة منزلته، أو لزجره وتحقيره، أو لتنبيهه لشدة غفلته أو لبعده عن المنادي في المنزلة أو بالعقيدة، كما درست نماذج من النداء جرى فيها إنزال البعيد منزلة القريب لاستشعار حضوره الدائم، وذلك ما جرى على ألسنة الأنبياء والصالحين، حيث نادوا رب العزة نداء القريب لحضور هيبته وجلاله في أذهانهم، ويقينهم أنه قريب في قدرته وبعيد في صفاته، وناداه إبليس نداء القريب جرياً على سنة الصالحين، مع علمه أنه بعيد من الله تعالى مطرود من رحمته.

وجعلت في خاتمة هذا البحث بعض النتائج التي توصلت إليها، ثم ختمت في قائمة المصادر والمراجع.

وقد استغرق العمل في هذا البحث عامين كاملين، ومهما بلغ الجهد في إنجازه فهو أجدر بأكثر من ذلك، لأن الباحث في قضايا القرآن الكريم لا يملّ مهما طال الزمن وامتدّت الطريق، فالمطلوب عزيز والمكافِئ وهّاب، له الفضل وإليه المآب. والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

احتلّت القصة القرآنية مساحة واسعة من آي الذكر الحكيم، فقد بلغت الآيات التي روت أحداث قصص وحكايات أقوام وأفراد سابقين، قرابة ربع القرآن الكريم، واتصفت القصة القرآنية بأن أحداثها حقيقية وأشخاصها حقيقيون وموضوعاتها متنوّعة، فهي في قصة آدم عليه السلام تتحدث عن بدء الخليقة، وكيف أن الله تعالى خلق آدم من التراب ونفخ فيه من روحه، ثم اختاره لخلافة الأرض، وأسجد الملائكة له فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وأسكن الله آدم الجنة، وجعل حريته فيها غير مطلقة، إذ أباح له الأكل مما شاء إلا شجرة حذّره الأكل منها، لكن إبليس أغراه وأغواه فأكل منها، فوقع في المعصية، ثم تاب إلى ربه وأناب، فتاب الله عليه وأهبطه إلى الأرض، وجعله خليفة فيها، أي جعل بنيه يخلف بعضهم بعضاً، وكان من ذريّته مؤمن وكافر، فالمؤمن من اهتدى إلى عبادة الله واتبع صراطه المستقيم، والكافر من أضلّه إبليس فكان من الغاوين، وتفضّل الله تعالى على ذريّة آدم فجعل منهم أنبياء أوحى إليهم لهداية الناس، وأرسل لهم رسالات كلّفهم إبلاغها إلى عباده، فمن اهتدى فبفضل الله، ومن ضلّ فمن جهله وسوء اختياره. وكان أول الأنبياء من ولد آدم الذين روى القرآن الكريم قصتهم: نوح عليه السلام، فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، ودعاهم لعبادة الله وحده، واستخدم كل طاقاته في الدعوة، وقال الله على لسانه:((رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا))[1]، وبعد كل هذا الجهد من سيدنا نوح؛ وبعد استنفاد هذه الأساليب الدعويّة، استخدم معهم أسلوب

[1]) سورة نوح، آية: 5-9

الترغيب، قال تعالى:((فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا))[1]، ولكن قوم نوح اتبعوا الشيطان، وعبدوا الأوثان، قال الله فيهم:((قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا))[2]، فحكم الله عليهم بالهلاك وأغرقهم بالطوفان، ونجّى الله نوحاً والذين آمنوا معه.

وبعد قصة نوح روت الآيات القرآنية قصة قوم عاد ونبيّهم هود عليه السلام، حيث دعاهم لعبادة الله وحده، إلا أنهم كفروا وعصوا رسول الله فأهلكهم الله تعالى، قال تعالى: ((وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ))[3]، ولما حق عليهم العذاب بكفرهم، قال تعالى: ((فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ))[4]. ثم روت الآيات قصة ثمود قوم صالح، إذ دعاهم رسولهم إلى عبادة الله وحده، قال تعالى:((وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ))[5]، ولما كانوا قد برعوا

---

[1]) سورة نوح،آية: 10-12

[2]) سورة نوح، آية:21-23

[3]) سورة هود، آية:50

[4]) سورة فصلت، آية:16

[5]) سورة الأعراف، آية:73

في مهنة نحت الجبال، وقال الله عنهم:((وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ))[1]، أرسل إليهم آية من جنس ما أعجبتهم أنفسهم فيه، فأخرج لهم ناقة من الصخر، تأكل مما يأكلون وتشرب مما يشربون، لكنهم عقروا الناقة فأهلكهم الله بالصيحة، قال تعالى:((وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ))[2]، ونجّى الله صالحاً والذين آمنوا معه، قال تعالى:((وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ))[3].

وروت الآيات القرآنية قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث اهتدى إلى عبادة الله وحده، وناصب قومه وما يعبدون من دون الله العداء، قال تعالى: ((قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ))[4]، وحطّم إبراهيم آلهة قومه، ولما أرادوا إحراقه بالنار حاورهم حواراً عقلياً أثبت لهم من خلاله سفاهة عقولهم، وخيبة رجائهم، فسألهم سؤال المستخف بعقولهم، قال تعالى على لسان إبراهيم إذ يجادل قومه بعد أن حطّم الأصنام:((قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ))[5]، نعم إنهم هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم إذ عبدوا ما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يُطعم، ولا يُسقي، ولا يُمرض، ولا يُشفي. لقد

---

[1]) سورة الشعراء، آية:149

[2]) سورة هود، آية:67

[3]) سورة النمل، آية:53

[4]) سورة الشعراء، آية:75-78

[5]) سورة الأنبياء، آية:61-64

كان إبراهيم القدوة في إعلان كلمة الحق إذ قال لهم:((قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ))[1]، وتجلّت قدرة الله تعالى حين أراد القوم بإبراهيم شراً فألقوه في النار، لكن الله جعلها عليه برداً وسلاماً، وكانوا هم الأخسرين.

ثم روت الآيات القرآنية قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وبيّنت الفرق بين فهمه للإحياء والإماتة وبين فهم النمرود لذلك، من خلال التمثيل للمعقول بالمحسوس. ثم روت الآيات قصة إبراهيم عليه السلام مع ولده إسماعيل، والتي جاء فيها الكشف عن قوة إيمان إبراهيم وولده إسماعيل، وتضحيتهما بالأوطان والأنفس في سبيل الله.

ثم روت الآيات قصة قوم لوط وما حلّ بهم من العذاب بسبب تكذيبهم رسول الله وإصرارهم على فعل المنكرات. ثم روت الآيات قصة يوسف عليه السلام، فكانت قصته ذات حبكة مركبة، حيث بدأت القصة برواية خبر رؤيا يوسف التي أخبر أباه بها وهي:((إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ))[2]. ثم انتقلت القصة إلى حكاية يوسف مع إخوته حين كادوا له وألقوه في غيابة الجب، ثم انتقلت إلى حكايته مع السيّارة إذ باعوه بيع الرقيق، ثم انتقلت القصة إلى حكايته عليه السلام مع امرأة العزيز، ثم حكايته في السجن، ثم حكايته بعد أن أُخرج من السجن ومكّن الله له في الأرض، فصار على خزائن ملك مصر، ثم حكايته مع إخوته إذ أتوه طالبين الميرة، ثم ختمت الآيات قصته بأن تعرّف إلى إخوته وأحضر أبويه من البدو وأسكنهم مصر. وتضمنت القصة من الأساليب البيانيّة والمعاني البلاغيّة، والدروس الاجتماعية

---

[1]) سورة الأنبياء، آية:66-67

[2]) سورة يوسف، آية:4

والأمنية والاقتصادية، والقانونية والأخلاقية ما لا يحيط به قلم ولا يحصره قرطاس. ذلك لأن القرآن الكريم متجدد المعاني ولا يخلق على كثرة الرد.

وروت الآيات القرآنية قصة يونس عليه السلام، الذي لم يصبر على قومه فذهب مغاضباً وواعدهم العذاب، فلما شعروا بقرب نزول العذاب بهم تابوا توبة صادقة، فرفع الله عنهم العذاب، وركب يونس سفينة في البحر، فأثقلت بمن فيها، فساهم[1] يونس، ووقع أمر الله فألقي في البحر فالتقمه الحوت، ولكن الله أمر الحوت أن لا يمزّق له لحماً ولا يكسر له عظماً، فكان يونس من المسبحين، إذ قال الله في خبره:((فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ))[2].

وروت الآيات القرآنية قصة سليمان عليه السلام، إذ سأل الله تعالى أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد، فسخّر الله له الريح والجن والطير والدواب، وعلّمه لغة الطير والدواب، وكان ملكاً رحيماً لا يظلم أحداً، وجاء في قصته مع الهدهد معاني تقييم المعلومات والتأني في إصدار الأحكام حرصاً على العدل، كما جاء في قصته مع ملكة سبأ بيان معاني حرصه على الدعوة إلى الله، وتقديم الإقناع بالحجة على استخدام القوة مع توفرها، وتشكلت في القصة معاني في الإدارة العسكرية وأساليب قيادية نموذجية، ومهارات في التعامل مع الأعداء والمنافسين.

وروت الآيات قصة موسى عليه السلام، وهي أطول القصص في القرآن الكريم، حيث تعددت حكاياتها وتوزعت أحداثها في سبع عشرة سورة من سور القرآن الكريم، شملت أخبار موسى عليه السلام منذ ولادته ومراحل طفولته إلى أن تزوّج ابنة شعيب عليه السلام، ثم روت الآيات خبره عليه السلام حين كلّمه رب

---

[1]) ساهم: اقترع، قُرعة.

[2]) سورة الأنبياء، آية:87-88

العزة جلّ وعزّ وأرسله إلى فرعون الذي طغى في الأرض وتكبر وادعى الربوبية، وحاول قتل موسى عليه السلام، وتوعّد الذين آمنوا معه بالصلب وتقطيع الأطراف، لكن الله جعله آية لمن خلفه، إذ أغرقه وجيشه في البحر، وأنجى بدنه ليكون ذلك شاهداً على موته، فلا يظن ظان أنه إله اختفى عن الأنظار ولم يمت. وروت الآيات القرآنية قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والتي كان فيها من المعاني المتجددة ما لا يستغني عنه جيل من الأجيال، ثم روت الآيات حكايات بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، والتي أظهرت عناد بني إسرائيل، وقساوة قلوبهم، وشدّة إعراضهم عن الهدى، وعبادتهم الهوى، فهم قتلة الأنبياء وعبّاد دُنيا، وقد شبههم الله تعالى بأخس مخلوقاته، فمنهم من كان كالكلب لا يتحوّل عن طبعه في أي حال من الأحوال، ومنهم من كان كالحمار يحمل أسفاراً، فلا ينتفع بما فيها من العلم، فتكون عبئاً ثقيلاً عليه بدل أن تكون نعمة وسعادة له.

وقد عبّرت القصة القرآنية عن معاني الهداية إلى ديانة التوحيد، وكشفت عما أعدّ الله للمهتدين من الثواب، ورغّبت في إطاعة الله من خلال اتباع رسله وتطبيق شرعه، وحذّرت من تكذيب الرسل، واتباع الهوى وإطاعة الشيطان. وجاء التعبير عن هذه المعاني من خلال أساليب بيانيّة وبديعيّة، عرفها العرب في لغتهم ودرجت على ألسنتهم في النثر والشعر، لذلك كانت أساليب القرآن في قصصه وأحكامه وأوامره ونواهيه مفهومة لديهم، مألوفة معنىً ولفظاً ونظماً، ولكن الإتيان بمثله لم يكن متاحاً لهم ولا لغيرهم، ذلك لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأن الكمال لله وحده، فالخلائق كلها محتاجة إلى غيرها، والله هو الغني الحميد.

الفصل الأول

المعنى في الدراسات البلاغية والنقديّة

1.1 المعنى لغة واصطلاحاً:

المعنى لغة: جاء في اللسان:"ومعنى كل شيء: محنته وحاله التي يصير إليها أمره، وروى الأزهري عن أحمد بن يحيى قال: المعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا: أردت، ومعنى كل كلام ومعناته ومعنيته: مقصده، والاسم: العناء، يقال: عرفت ذلك في معنى كلامه، ومعناة كلامه، وفي معنى كلامه"[1].وجاء في مختصر العين:"ومعنى كل شيء: حاله, وعنيت الشيء أعنيه:قصدته"[2]

وجاء في المعجم الوسيط:"المعنى:ما يدل عليه اللفظ, والجمع: معان, والمعاني:ما للإنسان من الصفات المحمودة, وعلم المعاني: من علوم البلاغة وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[3].

المعنى اصطلاحاً: المعنى عند بشر بن المعتمر: هو القصد والمضمون والفكرة، يفهم ذلك من قوله: "ومن أراغ معناً كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً"[4]. ونقل الجاحظ عن بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني قولهم:" المعاني القائمة في صدور

---

[1]) ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الإفريقي المصري (ت711هـ)،(2003)لسان العرب،ط1، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت،مادة عني، ج15، ص122.

[2]) الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدالله (316-379هـ)،(1996) مختصر العين، ط1، تحقيق: نور حامد الشاذي، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص190.

[3]) أنيس: إبراهيم وآخرون، (1992)المعجم الوسيط ، ط2،دار المعارف، القاهرة، ص633.

[4]) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب،(1975) البيان والتبيين، ط4، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، بيروت، ج1، ص36.

الناس المُتصورة في أذهانهم والمُتخلّجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية، وبعيدة وحشية، محجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، ولا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يُحيي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها"[1].

والمعنى: "هو مقصود الكلام، وهو الفكرة أو الربط الذهني الذي تستدعيه الكلمة، والذي يرتبط بالشيء"[2].

والمعنى: "وظيفة من وظائف القصد الذي يُدلي به المؤلف"[3]، وهو: "المجموع الكلي المرجعي الذي تتضمنه الجوانب المتضَمنة في النص، والتي لا بد من تجميعها خلال القراءة"[4]، كما وأنه: "العلاقة بين اللفظ والمدلول، والتي تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر"[5]. والمعنى: "هو الماهية، والماهية ليست أفكاراً منفصلة عن الأشياء، وإنما هي متحققة فيها، وإن جوهر الأشياء لا ينفصل عن تحققها المادي، فهناك رابطة بين المدرك الحسي والأفكار"[6]. هذا ما اقتبسه مصطفى ناصف من أرسطو، وبناءً عليه قال ناصف:" المعنى هو الماهية، والماهية ملتبسة في الأشياء؛

---

[1]) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص75.

[2]) أولمان: ستيفن، (1997)دور الكلمة في اللغة، ط12، ترجمة: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص77.

[3]) راي: وليم، (1984)المعنى الأدبي، ط1، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ص11.

[4]) إيسر: فولفجانج، (1984)فعل القراءة، ط3 ، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة، بغداد، ص157.

[5]) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص79.

[6]) ناصف: مصطفى،(1981) نظرية المعنى في النقد الأدبي،ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ص71-72.

إن المعنى الذي أدركه النقاد عبارة عن أفكار ذات طابع حسي، والكلمات تعني أفكاراً وأشياءً في الوقت نفسه، وتحديد الأفكار لا ينفصل عن الشيء الذي نراه"[1].

لقد عرّف -ناصف- المعنى بأنه ماهية الأشياء، وتلك الماهية يتم التعبير عنها باللغة. واللغة عند أرسطو هي: "التعبير عن الأفكار بواسطة الكلمات"[2]، وكما أن المعنى هو:"العامل المكون للغة، فإن اللغة هي المادة التي ينبثق عنها المعنى"[3]. "والمعنى لا تحتويه الكلمات بل هو الذي يعطي الكلمات مغزاها"[4]، وهو حر من قيدي الزمان والمكان،" فتراك تشعر وأنت تعيش مع الكلمة في تجلية معانيها اللغوية وتحليلها الصرفي، أنك في خضم بحر من المعاني والاشتقاق"[5]. والمعاني عند حازم القرطاجني هي:"الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان"[6]. وعرّف سعيد البحيري المعنى بأنه:" حصيلة تفاعل القارئ مع عالم النص المفتوح"[7].

2.1 المعنى وأصل اللغة:

اختلفت آراء العلماء في أصل اللغة أهي توقيفية أم اصطلاحية، فقد قال ابن فارس في كتابه- الصاحبي-: "إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله جلّ

---

[1]) ناصف، نظرية المعنى ، ص71-72.

[2]) أرسطو،(1900) فن الشعر، ترجمة وتقديم: إبراهيم حمادة، مكتبة الإنجلو المصرية، ص99.

[3])المصدر نفسه، ص105.

[4]) راي، المعنى الأدبي، ص26.

[5]) عبد الرحيم: عبد الجليل،(1992) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في كفتي الميزان، ط1،عمان،ج1،ص39.

[6]) القرطاجني: أبو الحسن حازم (ت684هـ)، (1966)منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجه، دار الكتب الشرقية، تونس، ص18.

[7]) البحيري: سعيد حسن، (1997)علم لغة النص، نشر: لونجيمان،القاهره،ص184

ثناؤه:((وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا))[1]، فكان ابن عباس يقول: علّمه الأسماء كلها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابّة وأرض وسهل وجبل وجماد وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وروى خصيف عن مجاهد قال: علّمه اسم كل شيء، وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: علّمه أسماء ذريته أجمعين. وذهب ابن فارس إلى ما ذهب إليه ابن عباس وقال: إن اللغة التي دلّ على أنها توقيف لم تأتِ جملة واحدة، وإنما وقف الله-جلّ وعزّ- آدم -عليه السلام- على ما شاء أن يعلّمه إيّاه مما احتاج إلى علمه في زمانه، ثم علّم بعد آدم من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم ما شاء أن يعلّمه حتى انتهى الأمر إلى سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- فآتاه الله ما لم يؤته أحداً قبله"[2].

ويقول ابن جني:"إن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف، لكنه يروي عن أبي علي الفارسي قوله: إن اللغة من عند الله"[3]. وقد شغل هذا الأمر ابن جني وأطال التفكير فيه حتى قوي الاعتقاد لديه بأنها توقيف من عند الله، وذلك مفهوم كلامه الذي جاء فيه:" واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع، فإذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة، ما يملك عليّ جانب فكري، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا -رحمهم الله- ومنه ما حذوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبعد مراميه وآماله، صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفُرق لهم عنه،

---

[1]) سورة البقرة، آية:31

[2]) ابن فارس: ابو الحسن أحمد بن زكريا الرازي، (1993)الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت،ج1، ص36-37.

[3]) ابن جني: أبو الفتح عثمان، ت 392هـ، (1986)الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان،ط3، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ج1، ص41

وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة، بأنها من عند الله- عزّ وجل- ، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من عند الله سبحانه وتعالى وأنها وحي"[1].

إنني أتفق مع ابن جنّي في أن اللغة توقيفية من عند الله تعالى وأنها وحي من لدنه -جلّ وعزّ- وأن المعاني توقيفية أيضا، ذلك أن الله عندما خاطب ملائكته فقال: ((وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ))[2]؛ فهموا مقصود الكلام فأجابوا ربهم بكلام معبر عن مقصدهم، قال تعالى: ((قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ))[3]. والدليل على أن كلامهم كان معبرا عن مغزاهم أن الله رد عليهم بقوله:((إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ))[4].

وفي قوله تعالى:((وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ))[5]؛ دليل على أن أسماء الأشياء ومعانيها وقف من عند الله علّمها آدم -عليه السلام- وإقرار من الملائكة أن لا علم لهم إلا ما علّمهم الله، فعلمهم أيضا علم وقفيّ من الله تعالى بلفظه ومعناه، ويشهد لذلك أيضا؛ فهم الملائكة لمراد ربهم وتعبيرهم عن مرادهم بتنزيههم له -جلّ وعز-، حيث قالوا: ((سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ))، وفي امتثالهم لأمره تعالى عندما

---

[1]) ابن جني، الخصائص ،ج1،ص48

[2]) سورة البقرة، آية:30

[3]) سورة البقرة، آية:30

[4]) سورة البقرة، آية:30

[5]) سورة البقرة، آية:31-32

قال:((وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ))[1].ومثل علم الملائكة علم الإنسان، فهو وقفي بلفظه ومعناه قال تعالى:((فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ))[2].

لقد عرف آدم معنى الأمر الإلهي الذي نهاه فيه عن الأكل من الشجرة التي عرّفها له في قوله:((وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ))[3]، وعرف آدم معنى لفظ الظلم وهو: تجاوز المسموح إلى الممنوع، فأراد أن يعبر عن معنى الاعتذار إلى الله والتوبة عن الظلم، فعلّمه الله كلمات تعبّر عن معنى اعتذاره. جاء في أنوار التنزيل: إن الكلمات التي اعتذر فيها آدم- عليه السلام- عن ذنبه هي قوله: "سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدّك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"[4].

وقد بين القرآن الكريم أن الله عاتب آدم وزوجه على أكلهما من الشجرة فقال: ((أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ))[5]، وفهم آدم وحواء معنى كلام ربهما فروى الله إجابتهما وتعبيرهما عمّا خفي في صدريهما من معنى الاعتذار، قال تعالى:((قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ))[6]. وكلام آدم وحواء هذا مما علّمهما إيّاه الله

---

[1]) سورة البقرة، آية:34

[2]) سورة البقرة، آية:37

[3]) سورة البقرة، آية:35

[4]) البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي،(1988) أنوار التنزيل وأسرار التأويل،دار الكتب العلمية، بيروت،ج1،ص55

[5]) سورة الأعراف، آية:22

[6]) سورة الأعراف، آية:23

وفي ذلك دليل آخر على أن الألفاظ توقيفيّة كما هي المعاني، يؤكد ذلك قوله تعالى: ((وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ))[1].

و"صنعة الكلام ومعرفة كيفية إنشائه ونظمه وتأليفه تبنى على أصول أولها المعرفة بالمعاني"[2]. واللغة لفظ ومعنى، قال ابن الحاجب في مختصره: "حد اللغة: كل لفظ وضع لمعنى، وقال الأسنوي: اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني."[3] ويرى ستيفن أولمن ومن حذا حذوه:" إن الحدث اللغوي له جانبان: جانب اللفظ أو الصوت، وجانب المعنى أو المحتوى العقلي"[4]، وعلى هذا فاللفظ والمعنى هما ركنا اللغة ولا ينفك أحدهما من الآخر.

3.1 مكانة المعنى في اللغة:

لا شك أن المعنى يسبق الكلام في نفس المتكلم، ذلك أن الألفاظ التي يتشكل منها الكلام ما كانت لتكون إلا لتعبر عن معانٍ خفية في صدر الشخص، "فالكلام ألفاظ تشتمل على معانٍ تدل عليها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ لأن المدار بعدُ على إصابة المعنى، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة، ومرتبة إحداهما على

---

[1]) سورة النحل، آية:78

[2]) القلقشندي: احمد بن علي، (1987)صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر،ج2،ص202

[3]) السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين،(1986) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية ،بيروت،ج1،ص8

[4]) أولمان، دور الكلمة في اللغة،ص11

الأخرى معروفة"[1]، وتركيب الكلام محكوم بمعناه، "فأنت تقول: إن هذه اللفظة صلحت هاهنا لأن معناها كذا، ولدلالتها على كذا، ولأن معنى الكلام والغرض منه يوجب كذا، ولأن معنى ما قبلها يقتضي معناها"[2].

والمعنى هو اللبنة الأولى في صناعة الكلام، يقول أبو هلال العسكري: "إذا أردت أن تصنع كلاماً فأخطر معانيه ببالك وتنوّق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها"[3]. ويوافق ذلك ما عبر عنه ابن الأثير في قوله:" إن الشاعر أو الكاتب ينظر إلى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني"[4].

واللفظ يستمد قيمته من قيمة معناه، إذ "ليس من شك في أن الكلمة بوصفها مجموعة من الأصوات لا قيمة لها، وإنما قيمتها بمعناها ومدلولها الذي ارتبطت به"[5]. ويؤكد هذا المعنى ما سبق أن توصل إليه الجرجاني حين قال:"ليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها ومصرّفة على حكمها؟، أوليس هي سمات لها؟ وأوضاعا قد وضعت لتدل عليها؟، فكيف يتصوّر أن تسبق المعاني؟ وأن تتقدمها في تصور النفس؟"[6].

---

[1]) العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت 395هـ)، (1952)كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،ط1، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،ص69

[2]) الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت 471هـ)، (1992) دلائل الإعجاز، ط3، تح: محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة، ص52.

[3]) العسكري:كتاب الصناعتين ، ص133.

[4])ابن الأثير: ضياء الدين نصر الله بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت 637هـ)، (1998)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط1، تح: كامل محمد محمد عويضه، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص305.

[5])أولمان، دور الكلمة في اللغة،ص7

[6]) الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص 417.

إن الجواب على الاستفهام الذي أورده الإمام الجرجاني هو أن المعاني هي الأصل، والألفاظ هي الفرع، وأن الكلام بمعناه دون الانتقاص من لفظه، "فالكلمات هي أصغر نواقل المعنى، أو: هي أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل، أضف إلى ذلك؛ إن الكلمات هي أسماء الأشخاص والأشياء"[1]، والألفاظ: "هي أوعية المعاني وهي تتبع المعاني في مواقعها"[2].

ويؤكد الجرجاني على أن المعاني هي مادة الكلام ومعدنه، وأن التصوير والصياغة هي من شأن المتكلم، فيقول:"ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالاً إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن يُنظر إلى الفضة الحاملة تلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة، كذلك محالٌ إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه"[3]. والجرجاني بقوله هذا لا يحصر مزية الكلام في معناه –على أهميته– لكنه يجعل لجودة العمل وإتقان الصنعة في الخاتم والسوار، موضوعاً للتمايز، إذا كان المعدن واحداً والصناعة مختلفة. وهو يوازي بين صناعة المعادن وصياغتها، وصناعة الكلام وصياغته، فإذا اختلف اثنان أو أكثر في التعبير عن معنى واحد، فإن التمايز والتفضيل لا يعود إلى المعنى، وإنما إلى تخير الألفاظ الدالة عليه وحسْن نظمها.

والجرجاني في موقفه من المعنى هنا؛ يلتقي مع الجاحظ الذي لم يجعل سبيل التفاضل في الكلام محصوراً بمعناه فقط عندما قال: "اعلم –حفظك الله– أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير

---

[1]) أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص19.

[2]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص52.

[3]) المصدر نفسه، ص254–255.

نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصّلة محدودة"[1]. وهو بهذا يقرر أن المعاني تمثل جنس المعدن، وجنس المعدن الواحد واحد، لكن التفاضل يكون في الصياغة والتشكيل والتصوير، ومن هنا طرح الجاحظ مقولته التي فتحت باب الجدل بين علماء البلاغة حيث قال:"والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي، والعربي، والبدوي، والقروي، المدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك"[2].

لقد فهم إحسان عباس من مقولة الجاحظ هذه أنه من أنصار اللفظ، وأنه لم يكن يُعِرْ المعنى اهتماماً مماثلاً للفظ[3]. وكان ابن خلدون في مقدمته قد اختار هذا الموقف، فقدم الألفاظ على المعاني حين قال:"اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي أصل، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، وأما المعاني فهي في الضمائر، والمعاني موجودة عند كل واحد، وفي كل فكر ما يشاء ويرضى، فلا تحتاج إلى تكلف صناعة في تأليفها، وتأليف الكلام والعبارة عنها هو المُحتاج للصناعة، وهو بمثابة القوالب للمعاني. فكما أن الأواني التي يُغترف بها الماء من البحر، منها آنية من الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف، والماء واحد في نفسه، وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال، تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه، باعتبار تطبيقه على المقاصد،

---

[1])الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

[2]) الجاحظ:أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (1938)كتاب الحيوان، ط1، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج3، ص131.

[3]) عباس: إحسان، (1993)تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الشروق، عمان، ص95.

والمعاني واحدة في نفسها[1]. والظاهر من كلام الجاحظ في كتبه المتفرقة "أنه لا ينصُر اللفظ على المعنى ولا ينصر المعنى على اللفظ، وإنما ينظُر إليهما متوائمين متحدين متكاملين".[2] –ففي كتابه الحيوان– يقول الجاحظ: "فلكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ،ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء،فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف،والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية،والاسترسال في موضع الاسترسال"[3].هذا ما دفع أنصار تعاضد اللفظ والمعنى للقول بأن الجاحظ:"حرص في حديثه عن التأليف،على جمع اللفظ والمعنى معا على حدود مشتركة،بحيث يقود الواحد منها إلى الآخر"[4].ويسند هذا الرأي الذي يجعل ملاءمة اللفظ للمعنى كشرط لوصف الكلام بأنه بليغ؛ قول الجاحظ: "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا،وتلك الحال له وفقا،ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا، ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمِنا"[5].

وينبه الجاحظ إلى دور المتكلم في تخير اللفظ المناسب للمعنى المناسب في المقام المناسب، وتلاؤم ذلك مع أقدار السامعين فيقول:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حال من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار

---

[1]) ابن خلدون: عبد الرحمن(ت 808هـ)، (2003)مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ط8، دار الكتب العلمية، بيروت، ص495.

[2]) الرباعي: ربى عبد القادر، (2006)المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي،ط1، دار جرير للنشر،عمان، ص138

[3]) الجاحظ، كتاب الحيوان ، ج3، ص39.

[4]) الرباعي، المعنى الشعري، ص137.

[5]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص92.

المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1].

وفي تأكيده على ترابط عناصر معادلة الاتصال الأدبي، ينقل الجاحظ عن بعض أهل البلاغة قوله: "أنذركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام؛ فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم دلاًّ متعشقاً، صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملى، والمعاني إذا كُسيت الألفاظ الكريمة، وأُلبست الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زُيّنت، وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري"[2].

إن ارتباط اللفظ بالمعنى والمعنى باللفظ في العمل الأدبي، هو ارتباط الأجزاء في الجسم الحي، "فالمعنى في العمل الفني لا يستقيم في جزء من أجزائه دون الجزء الآخر، بل في مجموع هذه الأجزاء، وفي صلتها بعضها بالبعض الآخر؛ لأن هذه الأجزاء لم تركّب تركيبا آليّا، بل هي كالأجزاء في الجسم الحي، تتعاون جميعا في تكوين شخصيته"[3]. ولكي نفهم معنى العمل الأدبي "يجب علينا أخذ مفرداته وكافة عناصره على أنها إشارات، وليس أنها كلمات"[4].

ويفسر عبد القاهر الجرجاني قيام القدماء بتقسيم الفضيلة بين اللفظ والمعنى، وقولهم: معنىً لطيف، ولفظ شريف، وأن المعاني لا تتزايد وإنما الألفاظ؛ بأنهم أطلقوا كلاما يوهم كل من يسمعه أن المزية في حاقّ اللفظ؛ ولكن "لمّا كانت المعاني إنما تُتبين بالألفاظ، وكان لا سبيل للمُرتب لها، والجامع شملها، إلى أن يُعلمك ما

---

[1]) الجاحظ، البيان والتبيين ، ج1،ص139.

[2]) الجاحظ، البيان والتبيين ، ج1،ص254.

[3]) رشدي: رشاد ، (1977)ما هو الأدب، مكتبة الإنجلو المصرية،القاهرة،ص71

[4]) الغذامي: عبدالله محمد، (1998)الخطيئة والتكفير، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص129

صنع في ترتيبها بفكره، إلا بترتيب الألفاظ في نطقه؛ تجوّزوا فكنّوا عن ترتيب المعاني برتيب الألفاظ، ثم بالألفاظ بحذف الترتيب، ثم أتبعوا ذلك من الوصف والنعت ما أبان الغرض، وكشف عن المراد."[1] وهو بعد هذا التفسير لموقف أهل النظر من القدماء، يقرر أن المزية في الكلام مرام صعب ومطلب عسير، "وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك، وتُعمل رؤيتك، وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك"[2]، والمسموع بالأذن هو اللفظ، والمنظور إليه بالقلب المستعان عليه بالفكر، الذي يراجع فيه العقل إنما هو المعنى الذي يبنى الكلام من أجل إبلاغه وبيانه.

والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه، قال بعض الحكماء: "للكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه"[3]. و"الألفاظ تابعة والمعاني متبوعة، وطلب تحسين الألفاظ إنما هو لتحسين المعاني، بل المعاني أرواح الألفاظ وغايتها التي لأجلها وضعت، وعليها بنيت"[4].

إن الباحث في أمر المعنى واللفظ يلحظ أن تفضيل أي منهما على الآخر قضية لم تحسم منذ أرسطو المتوفى سنة 322 ق.م وحتى يومنا هذا، فاللفظ والمعنى هما ركنا اللغة، وقد بين ذلك أرسطو حيث قال: "اللغة هي التعبير عن أفكار الشخصيات بواسطة الكلمات، وجوهرها هو نفسه في كل من الشعر والنثر"[5]، وقال أيضا: "فكما

[1]) الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص64

[2]) الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ص64

[3]) العلوي: محمد بن احمد بن طباطبا، (1982)عيار الشعر، ط1، تح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت،ص17

[4]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج2، ص202

[5]) أرسطو، فن الشعر،ص99

أن المعنى هو العامل المكوّن للغة؛ فإن اللغة هي المادة التي ينبثق عنها المعنى الموظّف في القطعة الدراسية"[1].

وما اختلاف مواقف علماء النقد والبلاغة من قضيتي اللفظ والمعنى، إلا دليل على شدّة ارتباط هاتين القضيتين معاً، " والتحدث عن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالتحدث عن شفرتي مقص، والتساؤل عن جودة أحدهما كالتساؤل عن أي الشفرتين أقطع"[2]. و"المعنى مضمون يعبّر عنه الأثر الأدبي والفني، ويقابل لفظ المبنى، وهو الطريقة المعتمدة في التنفيذ، والرابط بين المعنى والمبنى هو رابط التعايش والترافق الذي لا فكاك منه"[3]، ويقول الجرجاني معبراً عن تلازم اللفظ والمعنى: " كيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا إذا عرفتها عرفت أن حقها أن تنتظم على وجه كذا؟"[4]. ولا حاجة للفظ إذا لم يعبر عن معنى، ولا يكون نظم بغير ألفاظ.

4.1 أصناف الدوالّ على المعاني:

لا بد للمعاني من دوالٍّ تدل عليها، وتحدد حدودها، وترسم صورها، وتبيّن صفاتها، إذ "المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلّجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى

---

[1]) أرسطو، فن الشعر ،ص105

[2]) مندور: محمد ، (1973)في الميزان الجديد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،ص123

[3]) عبد النور: جبّور، (1979)المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،ص258

[4]) الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص53

ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره"[1]؛ وقد حدد الجاحظ أصناف الدوالّ على المعاني، فجعلها خمس دوالّ لا تنقص ولا تزيد، وهي:[2]

أ. **اللفظ:** وآلته الصوت الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف.

ب. **الإشارة:** وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن الإشارة باللسان، وتكون الإشارة بالعين والحاجب والمنكب؛ إذا تباعد الشخصان، وبالثوب والسيف. والإشارة واللفظ شريكان، ونِعْم العون هي له، ونِعْم الترجمان هي عنه، وبالإشارة يستدل على معان يُسرّها بعض الناس، أو يخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص.

ج. **الخط:** فمما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- :((ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ))[3]. وأقسم رب العزّة في كتابه المنزل على نبيه- صلى الله عليه وسلم- بالقلم، حيث قال:((نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ))[4]، وجاء في البيان والتبيين:" القلم أحد اللسانين، كما قالوا: القلم أبقى أثرا، واللسان أكثر هذرا. وقال عبد الرحمن بن كيسان: استعمال القلم أجدر أن يحض الذهن على تصحيح الكلام. وقالوا: اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب. وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن"[5].

---

[1]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1،ص75

[2]) المصدر نفسه،ج1، ص76

[3]) سورة العلق،آية:3-5

2) سورة القلم، آية:1

[5]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص81

د. **العقد:** وهو الحساب دون اللفظ والخط، وقد أشار الله تعالى إلى فضيلة الدلالة على المعنى بالعقد حيث قال:((ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ))[1]، وقال عز وجل: ((هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ))[2], وقال تعالى:((فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا))[3]، والحساب يشتمل على معان كثيرة، ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد لمعنى الحساب في الدنيا، ما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة.

هـ. **النّصبة:** وهي الحال الناطقة بغير لفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة في الموت الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأرض فقل: من شق أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا.[4]

لقد حصر الجاحظ جميع دوال المعاني بهذه الدوال الخمس، لكن صاحب البرهان جعلها أربعا، وأطلق عليها تسميات غير التي أطلقها الجاحظ، فجاءت الدوال في كتاب البرهان على النحو التالي:[5]

---

[1]) سورة الرحمن، آية:1-5

[2]) سورة يونس، آية:5

[3]) سورة الأنعام، آية:96

[4]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص81

[5]) ابن وهب: أبو الحسن اسحق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب،(1967) البرهان في وجوه البيان،ط1، تح: أحمد مطلوب وخديجه الحديثي، مطبعة العاني،بغداد،ص32-34

1) **البيان بالاعتبار:** وبعضه ظاهر يدرك بالحس ولا يفتقر إلى برهان واستدلال، وبعضه باطن لا يدرك إلا بالعقل، والعقل إنما يدركه بالقياس أو بالخبر.
2) **البيان بالاعتقاد:** وهو يبنى على البيان بالاعتبار، وله ثلاثة أضرب: فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يُحتاج إلى تقويته بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه.
3) **البيان بالعبارة، أو البيان بالقول:** وهذه الدالّة تشمل جميع فنون القول كالاشتقاق، والتشبيه، واللحن[1]، والرمز، والوحي، والاستعارة، والأمثال، واللغز، والحذف، والصرف، والمبالغة، والتقديم، والتأخير. ثم تحدث صاحب البرهان عن المنظوم من الكلام والمنثور منه.
4) **البيان بالكتاب:** وهو الذي يُبلغ من بَعُد وغاب، وهنا تحدث صاحب البرهان في هذه الدالة عن كاتب الخط وما يحتاج المحرر إلى استعماله، والخط وأنواعه وأقسام الكُتّاب.

وجاء في تعليق محقق البرهان أن هذه الأوجه الأربعة قريبة الصلة بما ذكره الجاحظ من دوال المعنى، فالنّصبة عند الجاحظ هي بيان الاعتبار، ويمكن أن يدخل فيها بيان الاعتقاد لأنه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجته في القلب، ودالة اللفظ عند الجاحظ هي بيان العبارة عند ابن وهب، ودالة الخط عند الجاحظ هي بيان الكتاب عند صاحب البرهان.[2]

ويتفق بدوي طبانة مع أحمد مطلوب على أن صاحب البرهان لم يبعد كثيرا عن الجاحظ، مع أنه لم يتعرض لدالتي الإشارة والعقد اللتين ذكرهما الجاحظ، وأنه جعل الإشارة في باب بيان العبارة وجعل دالة العقد ضمن باب القياس.[3] وتحدث

---

[1]) اللحن: تنغيم الصوت

[2]) ابن وهب، البرهان في وجوه البيان،ص32،ص60

[3]) طبانة: بدوي، 1986البيان العربي، دار الثقافة، بيروت،ص83

صاحب البرهان عن دالة الشيء على غيره، وذكر أربعة وجوه لتلك الدوال فقال:"ودلالة الشيء على غيره تكون بأحد أربعة أشياء":[1]

1) **بالمشاكلة:** وذلك يكون في فن التشبيه، كتشبيه الشجاع بالأسد، والجواد بالبحر.

2) **بالتضاد:** فإن الضد يكسب معرفة الضد، فإذا عرفنا أن الحياة تكون بالحس والحركة عرفنا أن الموت يكون بعدم الحس والحركة.

3) **بالعرض:** فالأجسام تعرف بالطول والعرض والسمك.

4) **بالفعل:** كما يدل الولد على الوالد، وكما يدل الباب على النجار.

5.1 أقسام المعنى:

تعددت مفاهيم علماء البلاغة عند تقسيمهم للمعاني، فقد قسمه ابن الأثير إلى قسمين هما:[2]

1) **الحقيقة:** وهي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي.

2) **المجاز:** وهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة. ثم قسّم المعنى من حيث التفسير والتأويل إلى قسمين فقال:" الأصل في المعنى أن يُحمل على ظاهر لفظه، والمعنى المحمول على ظاهره لا يقع في تفسيره خلاف، والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف، إذ باب التأويل غير محصور، والعلماء متفاوتون في هذا، والفرق بين التفسير والتأويل: أن التفسير هو بيان وضع اللفظ حقيقة، كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل: إظهار باطن اللفظ، كقوله تعالى:((إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ))[3]؛ فتفسيره: من الرصد والمراقبة، وتأويله: تحذير

---

[1]) ابن وهب، البرهان في وجوه البيان،ص81

[2]) ابن الأثير:المثل السائر ،ج1،ص69

[3]) سورة الفجر، آية:14

العباد من تعدّي حدود الله ومخالفة أوامره. والتأويل أحد قسمي التفسير، فالتأويل خاص والتفسير عام، وكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويل."[1]

والتأويل يُفهم منه ثلاثة أنواع من المعاني هي:[2]

1) ما يُفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره، نحو: لفظ الجلالة ((الله)).
2) ما يُفهم منه الشيء وغيره مما ليس بضده.
3) ما يُفهم منه الشيء وضده.

ومثال الذي يُفهم منه الشيء وضده قول الرسول– صلى الله عليه وسلم: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت"[3]. فالمعنى الأول: إذا كان عملك مما لا يستحى منه في العادة، أو ليس فيه ما يُعيب العاقل، فاصنع ما شئت. وأما المعنى الآخر فهو: إذا لم يكن عندك وازع من حياء، فافعل ما شئت من الأعمال المخجلة.

ومثال الذي يُفهم منه الشيء وغيره مما ليس بضده؛ قوله تعالى:((وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ))[4]، فإن له وجهين من التأويل، أحدهما: القتل الحقيقي المعروف، والآخر: القتل المجازي الناتج عن الإكباب على المعاصي المؤدي إلى عذاب النار في الآخرة.

ولمفهوم الخطاب دور في تحديد المعاني، فمن المعاني ما لا يُفهم من نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هي كالتابعة له، ومن المعاني ما يتأتّى من مفهوم الخطاب، وهذا يُسمّى المعنى المقدّر، ومثاله ما ورد في معنى قوله صلى الله عليه

---

[1]) ابن الأثير، المثل السائر،ج1،ص69

[2]) المصدر نفسه،ج1،ص45–48

[3]) ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي، (2004)فتح الباري بشرح صحيح البخاري، علّق عليه: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، ط1، مكتبة الرشد، بيروت، ج6، ص665

[4]) سورة النساء،آية:29

وسلم: "في سائمة الغنم زكاة"[1]، فالمعنى المقدّر: لا زكاة في الغنم المعلوفة، ولكن هذا الأمر يظل موضع خلاف بين الفقهاء، إذ لم يرد ما يحدد المعنى بوجوب الزكاة في الغنم السائمة ولا يوجبها في المعلوفة.[2]

ومن هذا المثال يتّضح لنا أن الخطاب يُفهم منه المعنى وغيره مما ليس بضده، وأما المعاني التي يحددها السياق الكلامي فتأتي على سبعة أضرب هي:[3]

1) **المعنى الصريح:** وهو المضمون الإخباري أو المنطقي المباشر، ويتحقق في كل قول صحيح نحويا ودلاليا.

2) **المعنى الضمني:** وهو ما يحمله النص من قيمة توصيليّة، ويُمثّل تعبيرا يتجاوز مستوى المعنى الصريح المجرد، وذلك يتم بمقتضى ما يشير النص إليه. ويختلف المعنى الضمني عن الصريح من حيث:

أ) المعنى الضمني حادث على اللغة وليس جوهريا فيها.

ب) المعنى الضمني غير ثابت فهو يتغير من عنصر إلى عنصر، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومن فرد إلى آخر.

ج) المعنى الضمني غير قاطع، ومفتوح الحدود، بينما المعنى الصريح مغلق.

3) **المعنى الأسلوبي:** وهو ما تنُم عنه اللغة في ظروف اجتماعية تحيط باستعمالها، كأن نفهم شيئا عن الكاتب من خلال رصد مفردات معينة تدلنا على موطنه أو طبقته الاجتماعية أو غير ذلك؛ كاستخدام: ما الحجازية أو التميمية أو الإدغام أو فك الإدغام.

---

[1]) أبو داوود: سليمان بن الأشعث السجستاني(202–275هـ)، (2004)سنن أبي داوود، كتاب الزكاة، باب: في زكاة السائمة، نشر بيت الأفكار الدولية،عمان، ص185

[2]) ابن الأثير، المثل السائر،ج1،ص57

[3]) الغذامي، الخطيئة والتكفير،ص ص134–138

4) **المعنى الانفعالي:** وهو ما نلمسه في القول من علامات تدل على عواطف الغضب وأحاسيسه، ويظهر ذلك من خلال نغمة الخطاب الشفوي وتركيز النبْر، وسرعة النطق وغير ذلك.

5) **المعنى الانعكاسي:** ويكون ذلك في الكلمات ذات المعاني الصريحة والمتنوعة، أو عندما تستخدم الكلمة في معنى يختلف عن المعنى القريب لها، فتسعى الكلمة حينئذ إلى تنفير المعنى القريب وإحلال آخر مكانه، ومن ذلك قوله تعالى:((فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[1]، حيث المعنى القريب للبشارة هو للخير، ولكن المعنى الذي أفاده السياق يحمل الإنذار والتخويف.

6) **المعنى الانتظامي:** ويُقصد به تراسل بعض الصفات في قبول توارد موصوفات بها دون أخرى، مثل صفتي: جميل ووسيم، حيث تتجه الأولى نحو الأنثى، وتتجه الثانية نحو الذكر. ومثل كلمتي: خسوف وكسوف، حيث اختصت الأولى بالقمر والثانية بالشمس.

7) **المعنى الموضوعي:** ويُقصد به تقرير مدلول النص بناء على طريقة تنظيم الكلمات أو الجمل فيه، والتركيز على عنصر معين، وتختلف معاني الجمل بناء على طريقة ترتيب الكلمات، وإن ظلّت الكلمات الأصلية في الجملة هي ذاتها؛ مثل قولنا: بدر كانت أولى غزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم-، وقولنا: أولى غزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم- كانت بدرا. ففي الجملتين استخدمنا نفس الكلمات، لكن الترتيب غيّر المعنى.[2]

وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني عندما تحدث عن دور التقديم والتأخير في تحديد المعنى وتجويده، ومن أمثلته على ذلك قوله تعالى:((وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ

---

[1]) سورة آل عمران، آية:21

[2]) الغذامي، الخطيئة والتكفير،ص134-138

ٱلْجِنَّ))[1]، فكان لتقديم الشركاء حسنا وروعة ومأخذا في القلوب أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخّرت فقلت: وجعلوا الجن شركاء لله. ومع أن جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، لكن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى، ويفيد معه معنى آخر هو: ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا غير الجن. وإذا أُخّر فقيل: جعلوا الجن شركاء لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى.[2]

6.1 نعوت المعاني:

إن للمعاني التي تحدّث عنها البلغاء والنقّاد نعوتا تَشْرُف بها وتكتسب معها روعة وجلالا، وتضْعُفُ وتغدو سقيمة سوقيّة إذا هي افتقرت إليها، وقد أدرك ذلك بشر بن المعتمر (ت 210هـ)، الذي تحدّث في صحيفته عن نعوت المعاني: كمطابقة اللفظ للمعنى، "فمن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف". والبعد عن التعقيد، فالتعقيد"هو الذي يستهلك معانيك"، والوضوح، "فيكون معناك ظاهرا مكشوفا"، والبعد عن الهُجنة،"ويكون قريبا معروفا"، ومنها الصواب وإحراز المنفعة "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال".[3]

وأما الجاحظ فقد جعل من نعوت المعاني: "موافقة أقدارها لأقدار المستمعين وأقدار الحالات"[4]،وأن تكون المعاني واضحة بعيدة عن الغموض مسبوكة بألفاظ غير وحشيّة ولا سوقيّة. وقد نسب الجاحظ إلى بعضهم قوله: "ولا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى

---

[1]) سورة الأنعام، آية:100

[2]) الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص ص286-287

[3]) الجاحظ، البيان والتبيين،ج1،ص136

[4]) المصدر نفسه،ج1،ص139

سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"[1]. وأثنى الجاحظ على مطابقة اللفظ للمعنى فقال:" ومن عِلِم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحال له وفقاً، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً، ولا مقصراً ولا مشتركاً"[2].

وتحدّث أبو هلال العسكري عن بعض نعوت المعاني، فجعل وضوح المعنى من صفات أجود الكلام، "فأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه ولا يستبهم مغزاه"[3]،وذكر العسكري أن المعاني تتفاوت من حيث الحسن والقبح، "فمنها ما هو مستقيم حسن نحو قولك: قد رأيت زيداً، ومنها ما هو مستقيم قبيح، مثل قولك: قد زيداً رأيت، فجاء القبح فيه لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير، ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب، مثل قولك: حملت الجبل، وشربت البحر. ومنها ما هو محال كقولك أتيك أمسِ، والمُحال: ما لا يجوز كونه البتّة."[4]

وللسياق دور في بناء المعنى وتحديده، فقد يكون اللفظ واحدا والمعنى واحدا؛ ومن ذلك لفظ الجلالة((الله))، فإن اللفظ واحد والمعنى واحد لا يتعدد. وقد يكون اللفظ متعددا والمعنى واحدا، وهو الترادف، ومثاله: السيف، والحسام، والمهند، والصقيل. وقد يكون المعنى متعددا واللفظ واحدا، ومثاله: العين، فمنها: عين الماء، وعين الإنسان، والعين: الحرف، والعين: المراقب، فإن كان اللفظ وُضع لكل المعاني المتعددة فهو اللفظ المشترك، وإن كان وضع لمعنى واحد ثم نقل إلى غيره لعلاقة؛ فهو المجاز.[5]

وقد تحدّث- ستيفن أولمان- عن دور السياق في الكشف عن المعاني الآتية:[6]

---

[1]) الجاحظ، البيان والتبيين ،ج1، ص110

[2])المصدر نفسه ،ج1،ص ص 92-93

[3]) العسكري، كتاب الصناعتين،ص97

[4]) العسكري، كتاب الصناعتين ،ص70

[5])السيوطي، المزهر في علوم اللغة،ص368

[6]) أولمان، دور الكلمة في اللغة،ص ص70-72

1) **المعنى العاطفي:** فالسياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة تعبّر عن معنى موضوعي أو قصد بها التعبير عن العواطف والانفعالات.

2) **منطقة المعنى:** فكلمة "رجل" إذا ذكرت مقابل كلمة حيوان فإنها تُعني الجنس البشري كلّه، وإذا ذكرت مقابل كلمة "امرأة" فإنها تُعني الذكور من البشر.

3) **تناوب المعنى:** إن الكلمات ذات المعاني المركزية الثابتة –إلى حد ما– لها هي الأخرى صور مختلفة في التطبيق، فالسياق وحده هو الذي يستطيع أن يبين لنا ما إذا كانت كلمة مثل: "قريب" تُعني: المسافة، أم قرابة الرحم.

4) **الغموض:** كثير من الكلمات لها أكثر من معنى، والسياق وحده هو الذي يحدد المعنى المقصود، مثل: "أدرك"، فقولنا: أدركه: يمكن أن تفيد: لحق به، أو عاصره، أو أصابه وحلّ به، كما في قوله تعالى:((أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ))[1].

5) **اللفظ المشترك:** فإذا اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتهما اتفاقاً تاماً فإن السياق وحده هو الذي يحدد المعنى المقصود، وسواء كان ذلك السياق لفظيا أم غير لفظي فإنه يُعد ضروريا لتحديد المعنى، وتفسير المشترك اللفظي.

---

[1]) سورة النساء،آية:78

الفصل الثاني

التشبيه في القصة القرآنية وأثره في بناء المعنى

1.2 التشبيه لغة واصطلاحاً:

التشبيه لغة: الشبه: يقال "فلان شِبهُك، وشَبَهك، وشبيهُك، والمتشابهات: يشبه بعضها بعضاً"[1]. و"أشبه الشيءُ الشيء َ:ماثله، وتشابه الشيئان: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا"[2].

التشبيه اصطلاحاً: جاء في معنى التشبيه أنه:"إلحاق شيء بذي وصف في وصفه، وقيل: أن تُثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به، وقيل: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من أوصاف الشيء الواحد؛ كالطيب في المسك، والضياء في الشمس"[3] .

والتشبيه "هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حسّ أو عقل، ولا يخلُ التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس، فأما القول فنحو قولك: زيد كالأسد، فالكاف عقدت المشبّه به بالمشبّه. وأما العقد في النفس: فالاعتقاد لمعنى هذا القول. وأما التشبيه الحسيّ: فكمائين، وذهبين، يقوم أحدهما مقام الآخر ونحوه. وأما التشبيه النفسي فنحو: تشبيه قوة زيد بقوة عمر، فالقوة لا تشاهد ولكنها سادة مسد أخرى."[4]

---

[1]) ابن عبّاد: إسماعيل،(ت385هــ)، (1994)المحيط في اللغة، ط1، تح: محمد حسن آل ياسين، ج3،باب الشين، ص396.

[2]) أنيس: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص471.

[3]) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، (1988)البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ج3، ص414.

[4]) الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى(296-386هــ)، (1968)النكت في إعجاز القرآن،ط2،تح: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر،ص80-81

والتشبيه "الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها"[1]. كما جاء في معنى التشبيه: "إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها"[2]

قال العسكري: التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب"[3]. وقال ابن رشيق في العمدة:"التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه كليةً لكان إياه"[4]. وقال القزويني في الإيضاح:" التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"[5].

وبناءً على ما سبق من التعريفات فإنني أعرّف التشبيه بأنه: مشاركة شيء لشيء في بعض صفاته أو معانيه، واختلافه عنه في أخرى، مع وجود أداة ملفوظة أو مقدّرة تربط بين طرفي التشبيه لتقرّب بينهما في وجه الشبه، لغرضٍ.

---

[1]) العلوي: يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم، (1982)كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت،ج1، ص263

[2]) ابن جعفر: قدامة(260-327هـ)، (د.ت)نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص124

[3])العسكري: أبو هلال، كتاب الصناعتين، ص239.

[4]) القيرواني:ابو علي الحسن بن رشيق(390-456هـ)، (1981)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ط5، تح: محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل، بيروت، ج1، ص286.

[5]) القزويني: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت739هـ)،(1980) الإيضاح في علوم البلاغة، ط5، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1, ص328.

2.2 أدوات التشبيه:

اتفق علماء البلاغة على أن للتشبيه أدوات منها:[1]

1) **الأسماء**، ومنها: مثل،أخ، شبه، ونحوها وما يشتق منها، كقوله تعالى:((وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ))[2]. وقوله تعالى:((قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ))[3].

2) **الأفعال ومشتقاتها** نحو: "يحسب" كما في قوله تعالى: ((وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ))[4]، و"يخيّل" كما في قوله تعالى: ((قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ))[5].

3) **الحروف** وهي: الكاف، وكأن. وقد وردت كثيراً في القرآن الكريم.

---

[1]) الطيبي: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله(ت743هـ)، (2004)التبيان في البيان،ط1، تح: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص94 ،والزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص416.

[2]) سورة البقرة، آية: 25.

[3]) سورة البقرة، آية: 70.

[4]) سورة النور، آية :39.

[5]) سورة طه، آية: 66.

3.2 أقسام التشبيه:

تعددت تقسيمات البلاغيين للتشبيه، فقسّمه ابن جعفر باعتبار طرفيه من حيث الإفراد والجمع، فذكر أن "منه ما يشبّه فيه متعددٌ بمتعددٍ، ومنه ما يشبّه فيه مفرد بمتعدد أو متعدد بمفرد، ومنه ما يشبّه فيه مفرد بمفرد"[1].

وقسّمه العسكري فجعله على أربعة وجوه هي:[2]

الأول: إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه. ومنه قوله تعالى: ((مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ))[3]. فالمعنى الجامع بينهما: بُعد التلاقي، وعدم الانتفاع.

الثاني: إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، ومنه قوله تعالى: ((إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾))[4]. فاجتمع الأمران في قلع الريح لهما وإهلاكهما، والذي جرت به العادة هو نزع الريح لأعجاز النخل المنقعر، وما لم تجر به العادة هو نزع الناس على تلك الصورة.

الثالث: إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها، ومن ذلك قوله عز وجل: ((وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ

---

[1]) قدامة، نقد الشعر، ص127-128

[2]) العسكري، كتاب الصناعتين،ص240-242

[3]) سورة إبراهيم، آية: 18.

[4]) سورة القمر، آية:19-21

أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ))[1]. فالجامع بين طرفي التشبيه هو السعة، والأمر المعروف بالبديهة هو سعة السماوات والأرض، والذي لا يعرف بالبديهة هو سعة الجنة. والفائدة من التشبيه: التشويق إلى الجنة.

الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، ومنه قوله تعالى: ((وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ))[2]. فالجامع بين الأمرين العِظَم، والفائدة: الإشارة إلى قدرة الله في جعل الماء السائل اللطيف يحمل الفلك العظيمة، كما تحمل الأرض الصلبة الجبال. وهذا التشبيه " أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها"[3].

وقسمه الجرجاني باعتبار طرفيه فجعل منه ما يكون حسيّ ومنه ما يكون عقلي، فقال:" اعلم أن الشيئين إذا شُبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين، أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأويل، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل، ومثال الأول: تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، والتشبيه من جهة اللون أو الهيئة، وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس. وأما الضرب الثاني: فهو ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة"[4].

---

[1]) سورة آل عمران، آية: 133.

[2]) سورة الرحمن، آية: 24.

[3]) البغدادي: أبو القاسم عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا(ت 485هـ)، (1980)الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص55.

[4]) الجرجاني: عبد القاهر (ت 471هـ)، (1999)أسرار البلاغة،ط2، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص69 ومابعدها.

وقسّمه ابن الأثير إلى قسمين باعتبار الأداة فقال: "فمنه ما كان مُظهر الأداة، ومنه ما كان مُضمر الأداة"[1].

وقد حظي التشبيه في كلام العرب بشرف القدر وفخامة الأمر فأكثروا منه في كلامهم حتى قال المبرّد: "لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب، لم يبعد"[2]. وقال عنه يحيى العلوي:" اعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة وأبو عذرتها وسرها ولبابها، وإنسان مقلتها"[3].

وقال فيه القزويني: "اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به-لا سيما قسم التمثيل منه- يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك"[4].

وفائدة التشبيه "أنك إذا مثّلت الشيءَ بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبّه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه"[5].

والتشبيه أسلوب من الأساليب البيانية التي يتنافس ذوو المواهب في طرق تناوله والإتيان فيه بكل غريب وبديع طريف، يقول أبو الحسن بن وهب الكاتب: "أما التشبيه فمن أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم، وكلما كان

---

[1]) ابن الأثير، المثل السائر،ج1،ص344

[2]) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد(ت285هــ)، (1900)الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت, ج2، ص79.

[3]) العلوي: يحيى ، الطراز، ج1، ص326

[4]) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سابق، ج1، ص238-239.

[5]) مطلوب: أحمد، (1967)القزويني وشرح التلخيص،ط1، مطابع دار التضامن، بغداد،ص342

المشبّه منهم في تشبيهه ألطف، كان بالشعر أعرف، وكلما كان إلى المعنى أسبق كان بالحذق أليق"[1].

ويقول ابن طباطبا العلوي:"واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها، فشبهت الشيء بمثله، فإذا تأملت أشعارها وفتّشت جميع تشبيهاتها وجدتها على ضروب مختلفة، فبعضها أحسن من بعض، وبعضها ألطف من بعض، فأحسن التشبيهات ما إذا عُكس لم ينتقص، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله مشبه به صورة ومعنى، وربما أشبه الشيءُ الشيءَ صورة وخالفه معنى، وربما أشبهه معنى وخالفه صورة، وربما قاربه وداناه وأشبهه مجازاً لا حقيقة"[2].

4.2 نماذج من التشبيه في القصة القرآنية

التشبيه في القصة القرآنية ظاهرة بلاغية، تحققت فيها أغراض عرفها العرب في شعرهم ونثرهم، وللوقوف على بلاغة هذه التشبيهات قام هذا البحث بعرض نماذج من التشبيه القرآني مبيناً أثر تلك النماذج في بناء المعنى في القصة القرآنية، ومن تلك النماذج:

أولاً: استخدام أداة التشبيه "مثل"، ومن نماذج استخدام هذه الأداة في تشبيهات القصة القرآنية ما يلي:

1. روت الآيات 27-31من سورة المائدة قصة ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر، فقام الآخر بقتل أخيه، وجاء في كلام المفسرين حول هذه القصة:"لما قتل قابيل هابيل تركه في العراء ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت من بني آدم على وجه الأرض، فقصدته السباع لتأكله فحمله قابيل على

---

[1]) ابن وهب ، البرهان في وجوه البيان، ص130.

[2]) العلوي: محمد، عيار الشعر، ص16-17.

ظهره في جراب أربعين يوماً، وقال ابن عباس: سنة، حتى أروح وأنتن، فأراد الله أن يُري قابيل سنته في موتى بني آدم في الدفن، فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم ألقاه فيها وواراه بالتراب، وقابيل ينظر"[1]. فالتشبيه في هذه القصة جاء في قوله تعالى:((فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ))[2]. لقد طلب قابيل لنفسه الويل لأنه شابه الغراب في قتل أخيه، لكنه عجز أن يهتدي لما اهتدى إليه الغراب فيواري سوءة أخيه، فالمشبه في هذا النص القرآني هو "قابيل" والمشبه به هو "الغراب"، وأداة التشبيه هي "مثل" والصفة الجامعة بين المشبه والمشبه به هي "القتل"، وأما المعنى الذي أفاده هذا التشبيه فهو أن قابيل أدرك أنه أجهل من الغراب، إذ اهتدى الغراب لدفن أخيه ولم يهتد هو إلى ذلك، مع أن الغراب من أخسِّ الطيور وأرذلها. والقصة توحي بأن قابيل قال في نفسه: "أعجزت وأنا الإنسان أن أحسن ما يحسنه هذا الطائر الذي هو من شرار الطير، وهو أسود محترق قبيح الشمائل، رديء المشية، ليس من بهائم الطير المحمودة، ولا من سباعها الشريفة، وهو بعد طائرٌ يُتنكدُ به ويُتطير منه، آكل جيف، رديء الصيد"[3]. ومع كل هذه الصفات التي في الغراب، تعجب قابيل من نفسه التي شابهت الغراب في القتل ولم تشابهه في دفن المقتول، وقد أفاد هذا التشبيه شدة التوبيخ والتقريع للقاتل.

---

[1]) الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، (1955)لباب التأويل في معاني التنزيل،ط1، مطبعة الاستقامة–القاهرة، ج1،ص45.

[2]) سورة المائدة، آية :31.

[3]) الجاحظ، الحيوان، ج3،ص410–412.

2.في قصة موسى عليه السلام مع فرعون: جاء في سورة "غافر" قوله تعالى: ((وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ))[1]. لقد اشترك قوم فرعون مع قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم بصفة تكذيب الرسل، والسياق يفيد بأن قوم فرعون كانوا على علم بما صارت إليه تلك الأقوام من الغرق والهلاك بالصيحة والريح العقيم وغيرها، ولذلك حذّر مؤمن آل فرعون قومه من مشابهة تلك الأقوام بتكذيب موسى عليه السلام، خشية أن يصيبهم مثل ما أصاب تلك الأقوام؛ فالمشبه في هذا النص القرآني هم "قوم فرعون"، والمشبه به هم "الأحزاب"، وأداة التشبيه هي "مثل"، ووجه الشبه هو "التكذيب الذي نتيجته الهلاك المحقق جرياً على سنة الله في المكذبين. والغرض من التشبيه هو التحذير من عاقبة تكذيب الرسول وتهويل الأمر، وبيان أن نتيجة تكذيب الرسل سنّة محتومة، فقوله :((مثل دأب)) يقول ابن ناقيا البغدادي:"الدأب: العادة، وملازمة الطريقة، يقال: دَأبَ يدأب دأباً، وهو دائب يفعل كذا: أي يجري فيه على عادته وملازمته"[2]. والتشبيه في هذه القصة صوّر معنى تكذيب قوم فرعون لسيدنا موسى بأنه مُفضٍ إلى نتيجة محتومة هي الهلاك بالغرق أو بالصاعقة أو بالصيحة أو بمثل ذلك، كما ويشير التشبيه إلى وجه آخر، وهو أن تلك الأقوام حاولوا إيذاء رسل الله فانتصر الله لرسله وأهلك الكفرة، وأن قوم فرعون تشاوروا في قتل موسى، قال تعالى:((وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ))[3]، فجاء هذا التشبيه لقذف الرعب في قلب فرعون وجنده،

---

[1]) سورة غافر، آية: 30-31.

[2]) البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن ، ص73.

[3]) سورة غافر، آية: 26.

لعل ذلك يكون حافزاً لهم لتصديق سيدنا موسى والإيمان بما جاء به، أو رادعاً لهم للكف عن إيذائه ومن آمن معه. وهكذا كشف التشبيه عن المعنى المقصود بكلام مختصر، فتحقق الغرض منه، وهو التخويف والتحذير، وهذا التشبيه هو تشبيه حالة بحالة تم فيها تثبيت حكم المشبه به للمشبه.

3.ومن صور استخدام "مثل" أداة للتشبيه، قوله تعالى:((وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ))[1]. هذه الآيات من سورة الأعراف أوجزت قصة رجل تحدث عنه أهل السّير والأخبار فقيل:" هو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها وكفر بآيات الله ونبذها وراء ظهره فصار من الضالين الكافرين، وروي أنه من الجبارين، ولما أقبل موسى ومن معه لقتال الجبارين طلب الجبارون من بلعم أن يدعو على موسى ومن معه، فقام ليدعو عليه، فتحول لسانه بالدعاء على أصحابه، فقيل له في ذلك فقال: لا أقدر على أكثر من ذلك، واندلع لسانه على صدره، فقال: قد ذهبت مني الدنيا والآخرة"[2]. في هذه القصة جاء النص القرآني بأكثر من تشبيه؛ أما التشبيه الأول، ففي قوله

---

[1]) سورة الأعراف، آية: 175-176.

[2]) الزمخشري:أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(467-538هـ)،(1966)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر،ج2،ص130، والشوكاني:محمد بن علي بن محمد(ت1250هـ)،(1997) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،ط2، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء،المنصورة،ج2،ص378.

تعالى:((وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا))، حيث شبه بلعم الذي تخلى عن آيات الله ونبذها وراء ظهره وقطع صلته بها، بجسد انسلخ عنه جلده فلم يعد بين الجسد والجلد أي صلة، وهنا تشبيه بليغ، حيث حُذِف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، وهو تشبيه يفيد قوة المبالغة في بناء المعنى وينزل المعقول منزلة المحسوس، فكأن التخلي عن الآيات يوازي انسلاخ الجلد عن الجسد من حيث انقطاع الصلة، وهذا التشبيه حقق بلاغة المعنى وإيجاز الكلام.

يقول عبد العزيز عتيق بأن التشبيه البليغ "يجعل نفس السامع تذهب كل مذهب، ويوحي لها بصور شتى من وجوه التشبيه"[1]؛ فالمتلقي لهذا التشبيه يمكن أن يتصور حال الجسم الذي كان الجلد يحفظه ويشكل له درعاً واقياً من الأخطار التي تحيط به، فزال عنه ذلك الدرع بما يشكله من صور الحماية والجمال، ثم ينزل تلك الصورة على من آتاه الله العلم والهدى ثم انخلع من علمه وهداه، ولحق بالشيطان والهوى، ورغب بالدنيا وزينتها. فالجامع بين المشبه والمشبه به هو: امتلاك الحصانة من الأخطار ثم التخلي عنها مع الإرادة، وقد بين الله تعالى أن الشيطان ليس له سبيل على الطائعين، قال تعالى:((إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً))[2]، لكن الذي انسلخ من آيات الله قال الله فيه:((فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ))[3]، فكان انسلاخه عن آيات الله مغرياً للشيطان، فضمه إلى زمرته، وفي ذلك خسر الدنيا والآخرة، وهذا التشبيه "أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه"[4].

---

[1]) عتيق: عبد العزيز، (1971)علم البيان في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ص104-105.

[2]) سورة الإسراء، آية: 65.

[3]) سورة الأعراف، آية: 175.

[4]) البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، ص50.

والتشبيه الثاني في هذه القصة: جاء في قوله تعالى:((وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ))، فقد شبه الله انحياز ذلك الرجل إلى ملذات الدنيا وما فيها من متع زائلة، والرغبة فيها عن جنة الله الباقية، بمن التزم المكوث في الأرض مفضلاً ذلك على الصعود إلى جنة الخلد، وهذا أيضا من التشبيه البليغ الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه، وجاء بناء المعنى مشتملاً قوة البلاغة وإيجاز الكلام. وللمتلقي أن يتصور حال من يريد الله أن يرفعه بالإيمان إلى الجنة لكنه يتشبث بالأرض الفانية لفرط جهله وسوء تقديره.

والتشبيه الثالث في هذه القصة هو في قوله تعالى:((فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث))، فالمشبه هو"بلعم"، والمشبه به هو "الكلب"، ووجه الشبه هو اللهث في حال طرده والحمل عليه أو تركه دون طرد، وأداة التشبيه الرابطة بين طرفي التشبيه هي:"مثل" والكاف ومثل في "كمثل". هذا التشبيه تشبيه تام من حيث ذكر طرفيه وأداته ووجه الشبه، وأما الغرض منه فهو بناء أكثر من معنى، ومن ذلك: أن حال ذلك الرجل الذي علم بعض ما جاء بكتب الله وعرف الحق وأعرض عنه وآثر الدنيا وتبع الشيطان، كحال الكلب الذي طبعه اللهث، سواء أحملت عليه أم تركته.

وكما أن الكلب يلهث سواء أكان مطروداً أم متروكاً، لأن طبعه اللهث، كذلك هذا الرجل يميل إلى الدنيا ويرغب فيها ويسلك طريق الشيطان، لأن طبعه الذلة والخسة والانحطاط، ولا ينفعه الوعظ والعلم الذي أخذه من كتب الله. والجامع بين الكلب وبلعم هو التزام الطبع، وعدم التحول عنه سواء في الراحة أو التعب بالنسبة للكلب، وسواء مع العلم أم مع الجهل بالنسبة لبلعم.

وقد أفاد هذا التشبيه بيان معنى الذلة والانحطاط الذي يصيب من تأتيه آيات الله ويصر على ما وجد عليه قومه من عادات وتقاليد ابتدعوها ولم يكن عندهم بها من الله سلطان.

والمعنى الآخر الذي بناه هذا التشبيه هو: أن بلعم لما خرج لسانه من فمه بعد أن أعرض عن هدى الله الذي هداه إليه، كان على صورة الكلب الذي لا يُرى إلا ولسانه خارج من فمه، وهذا التصوير فيه معنى التحقير لمن اختار طريق الشيطان فغوى وعصى ربه بعد أن أنعم الله عليه بالهدى. وقد عبر التشبيه عن معنى التحقير بذكر صورة من الصور الملازمة له وهي خروج اللسان من الفم، فلا يكون ذلك إلا في ذليل خسيس.

والتشبيه الرابع في هذه القصة: هو في قوله تعالى:((ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا))[1]، فالمشبه هم القوم الذين كذبوا بآيات الله، والمشبه به هو حال الرجل الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها فأصبح كالكلب المذكورة صفته، وهذا التشبيه مركب يتكون من صور متعددة، وقد أحاط هذا النص القرآني الموجز بالمعاني البليغة الكثيرة، فجعل المشبه كأنه عين المشبه به من حيث الجهل وسوء الاختيار، وبذلك خسرالدنيا والآخرة، ففي الدنيا تعهد الله لمن يعرض عن آياته بأن له معيشة ضنكا، وفي الآخرة له عذاب عظيم. قال تعالى:((وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ أَعۡمَىٰ))[2]. أما من ارتضى دين الله فقد حصنه الله من الشيطان، قال تعالى:((إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَـٰنٌ))[3].

4.في قصة نوح مع قومه، جاء قوله تعالى:((وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦۤ إِنِّى لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثۡلَنَا وَمَا

---

[1]) سورة الأعراف، آية: 176.

[2]) سورة طه، آية: 124.

[3]) سورة الإسراء، آية: 65.

نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ))[1].في هذا المقطع القصصي من سورة هود جاء التشبيه في قوله:((مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثۡلَنَا))، فقد عقد قوم نوح مشابهة جعلوا المشبه هو "نوح عليه السلام"، وجعلوا أنفسهم المشبه به، وفي هذا معنى التقليل من شأن سيدنا نوح إذ جعلوه مشبهاً، ومعنى الاستعلاء من قبلهم كونهم المشبه به، والرابط بين طرفي التشبيه هو "مثل" أما وجه الشبه فهو الاشتراك في الصفات البشرية، وأما الغرض من التشبيه فهو: نفي التمييز الذي امتاز به نوح عليه السلام، من حيث أنه نبي يوحى إليه من ربه، وأما الغرض من التشبيه فهو تكذيب النبي بالاستناد إلى مشابهته لهم ولم يرسل إليهم من الله شيء، وقد تكرر مثل هذا التشبيه في القصص القرآني[2]، حيث جاء رابط التشبيه مقروناً بضمير المتكلم، وتكرر ذات المعنى في تلك التشبيهات.

وكما جعلت الأقوام الكافرة من نفسها مشبهاً به، ومن الأنبياء مشبهاً لبناء معنى التقليل من شأن الأنبياء، وعدم التصديق بأن ما أرسلوا به هو ميزة من الله خصهم بها، كان جواب الأنبياء بصيغة التشبيه ذاتها، ولكن المعنى جاء مختلفاً، فهاهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من قبلهم لما أجابوا رسل الله بقولهم:((إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ))[3]؛ أجابتهم رسل الله بالقول:((قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا

---

[1]) سورة هود، آية: 25-27.

[2]) سورة إبراهيم، آية: 10،سورة المؤمنون، آية: 47،سورة الشعراء، آية :154،سورة الشعراء،آية :186، سورة يس، آية: 15.

[3]) سورة إبراهيم، آية: 10.

بِإِذۡنِ ٱللَّهِ))[1]. ولما كذب كفار قريش سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، جاء الجواب من الله تعالى:((قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ))[2]، فالتشبيه في الآيات السابقة جُعل فيه المشبه هم "الرسل"، والمشبه به هم "الأقوام"، ورابط التشبيه هو "مثل"، ووجه الشبه هو الاشتراك في الصفات البشرية، لكن المعنى الذي بناه التشبيه في هذه الآيات اختلف عن المعنى الذي أفاده التشبيه في الآيات التي سبقتها، فالمعنى في هذه الآيات هو أن الرسل أقروا بالمشابهة بينهم وبين أقوامهم، وفي هذا الإقرار تم بناء معنى جليل وهو: أنهم ليست لهم صفة الربوبية، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا بأمر الله، وبعد هذا التأكيد أفاد التشبيه أن الميزة التي اختلفوا فيها عن باقي البشر هي أنهم يوحى إليهم، وأن الإيحاء الإلهي هو منّة من الله يختار لها من يشاء من عباده، وقد اختار الرسل وكلفهم بإبلاغ رسالاته للبشر، فالتشبيه هنا أفاد معنى إثبات البشرية للرسل، وإثبات التميّز عن البشر بما منّه الله عليهم.

وفي هذا التشبيه الذي جاء على ألسنة رسل الله حين أقروا بالمشابهة مع الناس من حيث البشرية، بناء معنى تكذيب الأقوام الذين نسبوا لأنبيائهم صفة الربوبية، ومن تلك الأقوام اليهود الذين أخبر الله عنهم بقوله:((وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ))[3]، كما أخبر الله تعالى عن النصارى مثل ذلك، فقال تعالى:((وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ))[4]، وإقرار رسل الله ببشريتهم، وموافقتهم لما قالته أقوامهم في هذا الجانب فيه معنى التكذيب لمن ادعى أن للرسل صفة غير صفة البشرية

---

[1]) سورة إبراهيم، آية: 11.

[2]) سورة فصلت، آية :6.

[3]) سورة التوبة، آية: 30.

[4]) سورة التوبة، آية: 30.

والاصطفاء للرسالة الربانية وفيه معنى تواضع رسل الله مع ما لهم من الكرامة والجلال.

ثانياً: استخدام أداة التشبيه "شبه"، ومن نماذج استخدام هذه الأداة في تشبيهات القصة القرآنية ما جاء في قصة بني إسرائيل في سورة البقرة قوله تعالى:((وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ))[1]، فقد نظر اليهود إلى أمر الله على أنه هزءٌ وسخرية، لكن موسى عليه السلام أكد لهم إن ذبح البقرة أمر من الله، وعبر اليهود عن عدم ثقتهم بنبيهم فأكثروا عليه الأسئلة، ولم تكن تلك الأسئلة توحي بالحرص على تنفيذ أمر الله، وإنما توحي بالشك ومحاولة التملص من التنفيذ، وبعد أن حدد لهم موسى –عليه السلام– بعض أوصاف البقرة، قالوا: ((إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا))[2]، أي: أشبه بعضه بعضاً، وفي هذا النص جاء المشبه والمشبه به هو "البقر"، وأداة التشبيه هي الفعل "تشابه" وقد جاء استخدام هذا الفعل لبناء معنى المشابهة التي لو استخدم فيها حرف "الكاف" كأداة تشبيه لانتفت بلاغة النص، ولو جاء التشبيه بحرف الكاف مع "أن" لأصبح النص: إن البقر كأنه البقر، وبهذا يكون النص بلا معنى، ولكن استخدام الفعل الماضي "تشابه" شكّل المعنى المطلوب مع البلاغة والإيجاز، فكان التشبيه في هذا النص:((إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا)) محققاً للغرض، وهو أنهم لتقارب صفات البقر، لم يهتدوا إلى البقرة المطلوب ذبحها، وجعلوا ذلك ذريعة لطلب المزيد من الأوصاف المحددة لتلك البقرة، وقدم لهم موسى عليه السلام المزيد بعد أن وجد منهم إدعاء العجز، وربطهم الاهتداء إليها بالمشيئة الإلهية حيث

---

[1]) سورة البقرة، آية: 67.

[2]) سورة البقرة، آية: 70.

قالوا: ((وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ))[1].والقول:((إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا))، فيه إقرار من اليهود بأن البقر يشبه بعضه بعضاً، وأنهم لو ذبحوا أي بقرة قبل التشديد على أنفسهم لأوفت بالغرض، لكن لما شددوا على موسى شدد الله عليهم، وفي القصة معنى التحذير من التشدد في الدين وتوجيه إلى أخذ الأمور باليسر، وذلك ما وجه إليه قوله تعالى: ((فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ))[2] .

وقد ورد في القصة القرآنية استخدام الاسم "أخ" أداة للتشبيه في نموذج واحد، حيث جاء في خبر مريم ابنة عمران أم سيدنا عيسى عليهما السلام، أنها بعد أن ولدت عيسى عليه السلام أتت به قومها تحمله، قال تعالى:((فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا))[3]، وجاء في تفسير قوله تعالى:((يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ)) أي:"يا شبيهة هارون، قيل كان رجلاً صالحاً شُبهت به في عفتها وصلاحها، وليس المراد الأخوة في النسب"[4]، وفي الخبر أقوال، الشاهد فيها استخدام "أخ" أداة للتشبيه، والمشبه هي "مريم عليها السلام"، والمشبه به هو "هارون"، ووجه الشبه هو الصلاح والعفة، والمعنى الذي جاء به التشبيه هو الاستنكار الشديد لما شاهده بنو إسرائيل من مريم العذراء، حيث ظنوا بها السوء، حين رأوها تحمل الغلام، وعابوا عليها ذلك، لما عرفوه عنها من الصلاح والعفة، فهي بمنزلة هارون العابد المعروف عندهم بالصلاح والطهر، وذكّروها بطهر أبيها وعفة أمها، وفي ذلك بناء

---

[1]) سورة البقرة، آية: 70.

[2]) سورة التغابن، آية: 16.

[3]) سورة مريم، آية: 27-28.

[4]) الخازن:لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص219، والزمخشري، الكشاف، ج2، ص508، والبيضاوي، أنوار التنزيل، ج2، ص30.

معنى التقريع الشديد والاتهام الباطل، والجلد بسياط سوء الظن بها، لكنها وهي العفيفة الطاهرة، كانت تتوقع ذلك منهم، ولذلك تمنت لو أنها ماتت قبل أن يحصل لها ما حصل، قال تعالى:((قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا))[1]، ولم يتخلَّ الله عنها، فهو الذي تقبّلها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها "النبي زكريا زوج خالتها"[2]، قال تعالى:((فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا))[3]، وأمها الطاهرة أعاذتها وذريتها من الشيطان الرجيم، قال تعالى:((وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ))[4]، فدفع الله عنها سياط ألسنة القوم وسهام عيونهم، وتكفل بإيجاد من يجيب القوم عنها، قال تعالى: ((فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا))[5]، ولما سألها القوم عن أمر عيسى عليه السلام وسلقوها بألسنتهم الحادة وسهام عيونهم المسمومة و:((قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا))[6]، فكان الجواب مقرراً لكونها أخت هارون وشبيهته في العبادة، وليس كما أرادوا من هذا التشبيه وهو السخرية والتهكم، ونطق الغلام في مهده وأفصح عن الحال الذي هو عليه، وردّ على القوم

---

[1]) سورة مريم، آية: 23.

[2]) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1 ، ص225.

[3]) سورة آل عمران، آية: 37.

[4]) سورة آل عمران، آية: 36.

[5]) سورة مريم، آية: 26.

[6]) سورة مريم، آية: 27–29.

بلسان مبين، قال تعالى:((قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا))[1]، وبذلك برأ الغلام أمه من تهمة السوء وصرف معنى التشبيه من الصورة التي أرادها القوم إلى الصورة الحقيقية التي هي عليها وهي الصلاح والطهر.

ثالثاً: استخدام الفعل "حَسِبَ" كأداة للتشبيه، ومن نماذج استخدام هذه الأداة في تشبيهات القصة القرآنية ما يلي:

1. جاء في قصة سيدنا سليمان وملكة سبا، قوله تعالى:((قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ))[2]، أما المشبه في هذا السياق فهو "الصرح الممرد" وأما المشبه به فهو "اللجة" وهي:" الماء الكثير أو البحر كما جاء في تفسير فتح القدير للشوكاني[3]، وقد جاء استخدام الفعل "حسب" ليربط بين المشبه والمشبه به ليعطي معنى قوة المشابهة حتى التبس المشبه بالمشبه به، ووجه الشبه بين طرفي التشبيه هو "الشفافية" فقد كان الزجاج الذي صنع منه الصرح شفافاً إلى الحد الذي لم تتبين بلقيس وجوده. والغرض من هذا التشبيه هو بناء معنى القدرة العظيمة والدقة الفائقة التي امتلكها سليمان-عليه السلام- في مجال الصناعة والابتكار، وقد أوصل سليمان لملكة سبأ في هذه القصة وفي هذا السياق بالذات؛ معنى عظمة ملكه، وأدركت ملكة سبأ عندما كشفت عن ساقيها ظناً منها أن الصرح لجة من الماء -وتبين لها غير ذلك- أدركت أن لا سبيل لمغالبة سليمان، وأنه مؤيد من الله فأعلنت إسلامها وقالت:((قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ

---

[1]) سورة مريم، آية: 30.

[2]) سورة النمل، آية: 44.

[3]) الشوكاني،فتح القدير ،ج4، ص141.

سُلَيۡمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ))[1]، فكان إسلامها بناءً على قناعتها بأن الذي رات هو فوق طاقة البشر، وأنه من معجزات الله التي آتاها سليمان عليه السلام.

والتشبيه في قوله تعالى:((فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةً))، هو من ضرب التشبيه المسمى "الطرد والعكس" وهوأن يجعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به، فالذي جرت به العادة، هو أن يشبه الماء الصافي بالبلور، قال ابن حمديس في وصف بركة المتوكل:[2]

" وضراغم سكنت عرين رئاسة
تركت خريرالماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النّضار جسومها
وأذاب في أفواهها البلورا "

وقال شاعر آخر:[3]

" فلو دام ذاك النبت كان زبرجداً
ولو جمدت أنهاره كان بلورا "

وفي حديث ابن الأثير عن تشبيه " الطرد والعكس" يقول: "ولا تجد شيئا من ذلك إلا والغرض منه المبالغة"[4]، والمبالغة في القرآن الكريم تختلف عن المبالغة في الشعر والنثر، ذلك لأن المبالغة في الشعر والنثر فيها وصف للشيء بأعظم مما فيه أو بأقل مما فيه، أما المبالغة في القرآن الكريم فهي وصف للشيء

---

[1]) سورة النمل، آية: 44.

[2]) المقري التلمساني: أحمد بن محمد، (1968)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت،ج2،ص38.

[3]) المصدر نفسه،ج5، ص143

[4]) ابن الأثير: المثل السائر،ج1،ص400

بأقصى ما يدرك منه أو بأقل ما يدرك منه، وقد عرّف "العسكري" المبالغة بقوله: "المبالغة: أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته".

وقال عبد العزيز عتيق في المبالغة:"والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر؛ إذا أعياه إيراد المعنى بالغَ، فيشغل الأسماع بما هو محال، ويهوّل مع ذلك على السامعين، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام"[1]، وهذا الفهم لمعنى البلاغة عند علماء البلاغة يجعلها في القرآن الكريم غير ما هي عليه في الشعر والنثر، فالله تعالى لا يعجزه شيء، وقد بلغ التشبيه في خبر ملكة سبأ أقصى غايات إتقان الصنعة، وأبعد نهايات شفافية المصنوع حتى خفي البلور" المشبه" بالماء "المشبه به".

2. ورد استخدام الفعل "تحسب"، كأداة للتشبيه في قصة أهل الكهف، قال تعالى: ((وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظًا وَهُمۡ رُقُودٌۚ))[2]، فقد شبه النص حال الفتية وهم رقود، بحالهم وهم أيقاظ، فالمشبه التبس بالمشبه به إلى درجة كبيرة تجعل الناظر إليهم يتوهم كون المشبه ذات المشبه به، وينصرف ذهنه كلية إلى أن الذي توهّمه هو الحقيقة. فيتصرف على ذلك الأساس، ويدخل في نفسه الرعب والذعر من تلك الصورة غير المعتادة، وهي أن يكون الإنسان نائما ويقظاناً في آن واحد، قال تعالى:((لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارًا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبًا))[3]. ومع اجتماع خاصيّتين متناقضتين فيهم كانوا "غير خاضعين لتأثيرات الزمن"[4]، وقد بنى التشبيه في هذا السياق القصصي معنى القدرة الإلهية في الجمع بين

---

[1]) عتيق: عبد العزيز، (1970) علم البديع في البلاغة العربية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت،ص85

[2]) سورة الكهف، آية: 18.

[3]) سورة الكهف، آية: 18.

[4]) الشعراوي: محمد متولي، (د.ت)القصص القرآني في سورة الكهف، مؤسسة أخبار اليوم المصرية،مكتبة الشعراوي الإسلامية، ص13.

الضدين –النوم واليقضة– فهم رقود كالأيقاظ، ولم يُجر الزمن عليهم ما يُجريه على الرقود من البلى، كما لم يُجر عليهم ما يجريه على الأيقاظ من أحوال، وتلك آية من آيات الله تعالى.

3. وجاء مثل هذا التشبيه في قوله تعالى:((وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ))[1]، فالمشبه هو "الجبال"، والمشبه به هو "السحاب"، ووجه الشبه "الحركة المستمرة"، ورابط التشبيه هو الفعل المضارع "تحسب" الذي أفاد استمرارية الجامع بين المشبه والمشبه به، والمعنى الذي بناه التشبيه هو: إثبات صفة المشبه به للمشبه على التأبيد، مع أن الأمر يلتبس على الناظر فلا يرى التقاءً بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه المذكور، وقد أفاد التشبيه بيان قدرة الله على إخراج مالم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة. وظهر معنى قدرة الله على إجراء الحركة في الجبال الثقيلة كما يجريها في السحاب الخفيف.

وكما جاء في القصص القرآني استخدام مشتقات الفعل "حسب" ليتوصل بها إلى وصف المشبه بمشاركته المشبه به في الوجه، ورد استخدام مشتقات الفعل "خال" لهذه الغاية، حيث جاء في قصة موسى عليه السلام أنه جاء فرعون بكل آيات الله التي أُعطيها، لكن فرعون كذّب وأبى، واتهم موسى بممارسة السحر، وتحداه للمبارزة، وجمع فرعون السحرة لموعد محدد، وأخبر الله عن ذلك فقال تعالى:((قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ))[2]، ففي هذا السياق القرآني جاء المشبه هو "الحبال والعصي"، والمشبه به "شيء يسعى"، ووجه الشبه هو: الحياة المستدل عليها بالسعي والحركة، وأداة التشبيه هي: الفعل

---

[1]) سورة النمل، آية: 88.

[2]) سورة طه، آية: 65–66.

المبني للمجهول "يُخيّل"، والمعنى الذي أفاده هذا التشبيه هو أن الحبال والعصي لم يكن بها حياة ولم يحصل منها سعي حقيقي، وإنما ظهر منها ما يشبه السعي، لكن المشاركة بين المشبه والمشبه به لم تتعد حد التخييل، مع أن الذي جاؤوا به كان سحراً عظيماً كما وصفه الله في قوله:((قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ))[1]، واستخدام أداة التشبيه "يُخيّل" يفيد نفي وجود مشاركة حقيقية بين المشبه والمشبه به، وجعل الجامع بين المشبه والمشبه به مجرد وهم وكذب سرعان ما انكشفت حقيقته بإلقاء موسى عصاه التي قال الله عنها:((فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))[2].

وإذا أنعمنا النظر في الفرق بين استخدام الفعل "حسب" والفعل "خال" ومشتقاتهما في الربط بين المشبه والمشبه به، وجدنا أن استخدام الفعل "حسب" يثبت وجود جامع حقيقي بين المشبه والمشبه به، أما استخدام الفعل "خال" فهو ينفي وجود جامع حقيقي بين المشبه والمشبه به، وإنما الجامع بينهما خيالي. ولم يستخدم الفعل "خال" أو أي من مشتقاته كأداة للتشبيه في القرآن الكريم إلا في هذا السياق من قصة موسى وسحرة فرعون[3].

ويقول "العلوي" في استخدام بعض مشتقات الفعل "خال" في التشبيه:"فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه كأنه، أو قلت:ككذا، وما قارب الصدق قلت فيه:تراه أو تخاله، أو يكاد"[4]،فاستخدام الفعل المبني للمجهول "يخيل" في هذا

---

[1]) سورة الأعراف، آية: 116.

[2]) سورة الأعراف، آية: 116-117.

[3]) عبد الباقي: محمد فؤاد، (1981)المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،ط2، دار الفكر، بيروت، باب الخاء، ص226.

[4]) العلوي: محمد بن طباطبا، عيار الشعر ،ص27.

التشبيه الذي أوردته قصة موسى عليه السلام، أفاد أن وجه الشبه قارب الحقيقة ولم يكن ذاتها، وأكد التشبيه قدرة السحرة على مقاربة الحقيقة، ومع ذلك جاءت الآية الربانية –عصا موسى– فأبطلت سحرهم، فشكل السياق معنى عظمة الآية الربانية التي كشفت زيف عظيم سحرهم وكذبهم.

رابعاً: التشبيه باستخدام حرف "الكاف" مفرداً أو مقروناً بـــ"أنّ المشدّدة" أو "أنْ الساكنة".

أ):"**الكاف**": "هي الأصل في أدوات التشبيه، والأصل فيها أن يليها المشبه به"[1]، وجاء في كتاب "التبيان في البيان":"والأصل في الكاف ونحوها أن تلي المشبه به"[2]، والذي يبدو أن ما جاء في التبيان تصحيف، إذ الصحيح هو ما عليه علماء البلاغة، وهو أن الكاف تلي المشبه، وليس المشبه به، ومن نماذج التشبيه باستخدام حرف "الكاف" رابطاً بين المشبه والمشبه به في القصة القرآنية:

1.جاء في خبر قوم "ثمود" قوله تعالى:((كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ))[3]، وجعل الله لهم الناقة آية وفتنة، قال تعالى:((إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ))[4]، لكنهم عقروا الناقة وكذبوا رسول الله صالح عليه السلام فأرسل الله عليهم الصيحة، قال

---

[1]) طبانه، معجم البلاغة العربية، ص583.

[2]) الطيبي، التبيان في البيان، ط1(2004)، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص94.

[3]) سورة القمر، آية: 23–24.

[4]) سورة القمر، آية: 27.

تعالى:((إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ))[1]. وهنا موضع الشاهد، حيث ربطت "الكاف" بين المشبه والمشبه به، فالمشبه هم "الكفار من قوم ثمود"، والمشبه به "هشيم المحتظر"، ورابط التشبيه "حرف الكاف"، ووجه الشبه هو البعد الزمني بين الحياة والموت في طرفي التشبيه. وكان من الممكن التعبير عن هلاكهم بلفظ من الألفاظ الدالة على الموت، لكن التشبيه جاء بمعنى البعد الشاسع بين ما كانوا عليه قبل الصيحة، وما جرى لهم بفعل الصيحة، فصوّر حالهم بعد الصيحة بحال أعشاب وحطب جاف تكسر في حظيرة المواشي، قال ابن عباس رضي الله عنهما:"الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم، وقيل: هو الشجر البالي الذي يُهشم حين تذروه الرياح، والمعنى: أنهم صاروا كيبيس الشجر إذا بلي وتحطم"[2]، وبهذا التشبيه لم يذكر النص وقوع الموت في القوم بفعل الصيحة، على أنه موت وقع بصورة من الصور التي يعرفها الناس، وإنما بالغ في بناء المعنى الدال على الموت بفعل تلك الصيحة، وهو أن القوم أصبحوا كمن مضى عليه زمن طويل بعد موته، فصار بالياً يتكسر لبُعد ما بينه وبين الحياة. وبنى التشبيه معنى القدرة الربانية على كسر العادة في فعل الزمن، فالمعهود هو أن الحي يحتاج بعد موته إلى زمن طويل حتى يتحول إلى حال البلى، لكن الله تعالى حول قوم ثمود بصيحة واحدة من حال الحياة، إلى حال البلى دون المرور في المراحل الزمنية والأحوال المعهودة.

وبنى التشبيه في هذه الآية معنى شدة العقوبة والتهويل والتهديد والوعيد لمن كذّب رسل الله وأعرض عن آياته. والإشارة إلى ذلك جاءت في الآية التي تلت هذا

---

[1]) سورة القمر، آية: 31.

[2]) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج4، ص205.

التشبيه مباشرة، حيث قال تعالى:((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ))[1]، والمعنى: الحث على أخذ العبرة.

وتعبير السياق القرآني عن معنى الموت بألفاظ ليس من معانيها الأصلية الموت، عبّر عنه الجرجاني حين قال بأن من الكلام "ضرب أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض".[2]

2.جاء في خبر سيدنا عيسى عليه السلام، قوله تعالى:((وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ))[3]، فالمشبه في هذا السياق هو"بعض الطين"، والمشبه به هو "الطير"، وأداة التشبيه هي "حرف الكاف"، ووجه الشبه هو "الهيئة" فقد كان يصنع من الطين أشكالاً على صورة الطير، ومعنى ((أَخْلُقُ لَكُم)): "أقدّر لكم وأصور شيئاً مثل صورة الطير"[4]، والمعنى الذي بناه هذا التشبيه هو أن عيسى عليه السلام كان يصنع لبني اسرائيل أشكالاً من الطين على صورة الطيور دون أن يكون في تلك الصور حياة، وهذا غاية ما يمكن أن يصنعه البشر، لكن الله كشف عن معنى من معاني قدرته على يدي رسوله عيسى عليه السلام، وهو بعث الروح في مادة الطين المصور على هيئة الطير، من خلال قيام عيسى عليه السلام بالنفخ في ذلك الطين، فيكون طيراً بإذن الله.

---

[1]) سورة القمر، آية: 32.

[2]) الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص262

[3]) سورة آل عمران، آية: 49.

[4]) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج1، ص160.

وهذا التشبيه فرّق بين قدرة البشر على محاكاة صور الأشياء الحية–وذلك أمر متاح لهم– وقدرتهم على محاكاة ذات الأشياء الحية؛ فالطير لا يكون طيراً إلا إذا اجتمع فيه الجسد والروح ، وهذا غير متاح إلا لله خالق كل شيء.

3.وفي الخبر عن قوم نوح –عليه السلام–، ذكر الله تعالى أنه أرسل عليهم الطوفان لمّا أعرضوا عن دين الله، قال تعالى:((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ))[1]، ووصف الله تعالى في قصة "نوح" حال الموج الذي تشكل بفعل ذلك الطوفان، وحال السفينة التي أقلت نوحاً والذين آمنو معه، فقال تعالى:((وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ))[2]، فالمشبه هو "الموج"، والمشبه به هي "الجبال"، وأداة التشبيه هي "الكاف"، ووجه الشبه "الضخامة والعظمة"، والمعنى الذي بناه التشبيه هو أن الله قادر على أن يجعل في الشيء الواحد عذاباً غليظاً لمن عصاه ورحمة لمن أطاعه، وهذا الجمع بين الضدين بعض دلائل عظمته جل وعز، فالطوفان الذي غمر الأرض كلها، وكان الموج فيه كالجبال ارتفاعاً وضخامةً، أغرق الكافرين وكان لهم عذاباً، ودلّ ارتفاع الموج على وجود ريح شديدة، ولكن كثرة الماء وشدة الريح وارتفاع الموج لم يؤثر على سلامة السفينة ومن فيها من المؤمنين، وهذا التشبيه أخرج المعنى مما جرت به العادة وهو غرق السفينة ومن فيها في حال كون الموج مرتفعاً كالجبال، إلى مالم تجر به العادة وهو نجاة السفينة ومن

---

[1]) سورة العنكبوت، آية: 14–15.

[2]) سورة هو، آية د: 41–42.

فيها مع وجود تلك الأهوال،"فالجريان في الموج يوجب الغرق"[1]، والمعنى فيه بيان المبالغة في حفظ الله لرسله ولمن آمن معهم. وتصوير كارثة الطوفان في هذه القصة بهذا القدر العظيم من الضخامة، أشار إلى القدر العظيم من العناية بالسفينة ومن فيها، فالطوفان دون أمواج ورياح شديدة، كان كافياً لإهلاك الكافرين، لكن تشبيه موج الطوفان بالجبال تعلّق بحفظ السفينة اكثر من تعلقه بهلاك القوم الكافرين.

4. ومن صور استخدام حرف "الكاف" للربط بين المشبه والمشبه به، ما أشار الله تعالى فيه إلى حال الكافرين عبدة الأوثان، إذ يرجون الخير والعون منها، ويتوسلون إليها طلباً النصرة والغوث، قال تعالى:((وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ))[2]، "أي مقيمين على عبادتها ودعائها"[3]، فهؤلاء في دعائهم للأوثان والطلب إليها لقضاء الحاجات، أخبر الله عنهم بقوله:((وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ))[4]، فالمشبه هم "الكفرة المحتاجون للغوث يطلبونه من الأوثان"، والمشبه به هو "العطشان الذي يمد يده إلى الماء ويدعوه ليبلغ فاه ويذهب عطشه"، وأداة التشبيه هي "حرف الكاف"، ووجه الشبه في هذا التشبيه المركب

---

[1]) الرازي: فخرالدين محمد بن عمر(ت604هـ)، (1990) التفسير الكبير، ط1، در الكتب العلمية، بيروت، المجلد التاسع، ج17، ص184.

[2]) سورة الشعراء، آية: 69-71.

[3]) ابن كثير: اسماعيل بن كثير (ت774هـ)، (1981)مختصر تفسير ابن كثير، ط7، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ج2،ص649.

[4]) سورة الرعد، آية: 14.

هو كون المدعو في حال المشبه والمشبه به جمادا لا يملك القدرة على الفعل، يتوجه إليه العاقل القادر على الفعل بطلب قضاء الحاجة، والمعنى الذي بناه التشبيه هو استحالة تحقق الغرض، فكما أن الماء لا يستجيب لدعوة العطشان، ولا يملك القدرة على بلوغ الفم وبلّ الريق، لا تستطيع الأوثان سماع نداء عُبّادها ولا تملك القدرة عل تلبية مطالبهم، وهذه المشابهة نقلت المعنى من حال المعقول إلى حال المحسوس ليسهل إدراكه.

5.وجاء في قصة أصحاب الفيل الذين قادهم أبرهة الأشرم ملك الحبشة في غزوة لهدم الكعبة المشرفة، وأخبر الله عن حالهم في سورة الفيل، قال تعالى:((أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ)).[1] فالتشبيه في هذه القصة جاء بالمعنى المناسب لسياق السورة، إذ السورة بهذه الآيات الخمسة أوجزت قصة غزو جيش أبرهة للكعبة وما حلّ بهم من الهلاك، وجاء التشبيه فبنى معنى هلاك ذلك الجيش بصورة مبالغ فيها أقصى درجات المبالغة في أوجز الألفاظ، فالقوم أصبحوا كالعصف المأكول، وهو:"التبن أكلته الدواب وراثته"[2]، وفوق المبالغة الشديدة في التعبير عن موتهم، هناك معنى التحقير الشديد لهم، فالتشبيه حقق معنى الهزيمة والقتل والتحقير لأبرهة وجيشه، ولكن بإيجاز لم يزد عن ثلاث كلمات.

---

[1]) سورة الفيل، آية:1-5

[2]) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص286.

ب) التشبيه باستخدام حرف الكاف مع أنّ المشدّدة:

1.جاء استخدام حرف التشبيه "الكاف" مقروناً ب"**أنّ**" المشددة ، ومن صور هذا التشبيه في القصة القرآنية قوله تعالى:((كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ))[1]، في هذا السياق القرآني مجاز مرسل علاقته الكلية، حيث ذكر الله تعالى أنّ الريح تنزع الناس، والمقصود: رؤوسهم، حسب بعض التفاسير، حيث جاء في تفسير الآية" إن الريح كانت تقطع رؤوس القوم وتبقي أجسادهم بلا رؤوس"[2]، فالنص ذكر الكل وأراد الجزء، والتشبيه في هذا المعنى التأويلي جاء لبيان حال قوم عاد بعد أن أرسل الله إليهم ريح صرصر، فالمشبه هم "القوم" وقد قطعت الريح رؤوسهم، والمشبه به "النخل" الذي قطع أعلاه وبقيت سوقه، وهذا التشبيه بنى معنى الموت لقوم عاد، لكنه استعاظ عن لفظ "الموت" بالصورة ليكون المعنى أبلغ في النفس وأبعد أثراً من التعبير عن حالهم بالقول "إنّ الريح قتلتهم"، وأفاد التشبيه بيان عظيم قدرة الله في تسخير الريح للقيام بما تقوم به الآلات الحادة من قطع الرؤوس والإبقاء على الأجساد، فكانت وهي لا تعقل تقوم بعمل لا يستطيعه إلا من يعقل.

وتشبيه القوم إذ قطعت الريح رؤوسهم بالنخل مقطوع الرؤوس، فيه إشارة إلى مشاركة المشبه للمشبه به في أن كل واحد منهما يتحقق فيه الموت عند قطع رأسه، فالإنسان إذا قطع رأسه مات، والنخلة إذا قطع رأسها ماتت، وتعفن ساقها ثم يسقط على الأرض، والمتدبر لهذا التشبيه يجد أنه يؤكد حقيقة علمية، وهي أن إحدى طرق إماتة النخل تكون بقطع رؤوسه، دون الحاجة إلى قطع أعجازه، وهذه

---

[1]) سورة القمر، آية: 18-20.

[2]) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص39.

الطريقة في القتل فيها بيان المعنى الأبلغ في الإعتبار والإدراك لعظمة قدرة الله تعالى، إذ خرج المعنى في هذا التشبيه من كونه عقلياً إلى كونه حسياً.

2.ومن صور التشبيه بـــ "**كأنّ**" في القصة القرآنية، قوله تعالى:((وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ))[1]، جاء في الأخبار: "إنّ بني إسرائيل لمّا أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة، لما فيها من التكاليف الشاقة، أمر الله عز وجل جبريل فرفع جبلاً عظيماً حتى صار على رؤوسهم كالظلّة، وقيل لهم: (خذوا ما آتيناكم بقوة)، فكانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا:(سمعنا وأطعنا) وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا:(سمعنا وعصينا)"[2]، فالمشبه في هذا السياق القرآني هو "الجبل مرفوعاً فوق الرؤوس"، والمشبه به هي "الظلّة"، وهي كل ما يظل الإنسان كالسقف والغيمة، ووجه الشبه هو "الإرتفاع في السماء دون دعائم"، والمعنى الذي جاء به هذا التشبيه هو: إنّ بني إسرائيل بلغوا في عنادهم وجحودهم لآيات ربهم حداً عظيماً، فأنزل الله لهم آية عظيمة تتناسب مع جحودهم، فرفع الجبل فوقهم كأنه السقف أو الغيمة، وهذا لم تجر به العادة، ورأوا تلك الآية وأيقنوا أن الجبل واقع بهم، إذ كان ما تراه عيونهم من ارتفاع الجبل في الهواء لا يوافق ما تدركه عقولهم من إمكانية نجاتهم وعدم سقوطه عليهم إذا آمنوا، فقال تعالى: ((وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ)) أي: أيقنوا وقوعه عليهم، ولكن عظمة قدرة الله، أبقت على الجبل معلقاً في السماء، وأمرهم الله بالإمتثال لأمره والعمل بما جاء في التوراة، وجاء في الأخبار عن هذه الآية:" إن بني إسرائيل سجدوا لما رأوا الجبل فوقهم وكانوا ينظرون إليه مخافة أن يقع بهم، فقبل الله منهم هذه

---

[1]) سورة الأعراف، آية: 171.

[2]) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2، ص143، و البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج1،ص366.

السجدة"[1]، مع أنها كانت تحت التهديد بسقوط الجبل عليهم. والذي يستفاد من المعنى التأويلي لهذا التشبيه هو أن اليهود لا تستقيم لهم قناة إلا مع التهديد بالقوة المحسوسة، وبعد أن تدرك عقولهم وحواسهم أن لا قدرة لهم على الاستمرار بالعصيان.

ج) **التشبيه** بـــ "**الكاف**" مع "**أنْ**" الساكنة: ومن صوره في القصة القرآنية قوله تعالى: ((ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا))[2]، في هذا التشبيه جاء الكلام موجزاً لكنه حقق المعنى المقصود، فالذين كذبوا شعيباً، أخبر الله عنهم بقوله:((فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ))[3]، فالرجفة هي وسيلة الهلاك التي أرسلها الله عليهم، ولكن حالهم بعد الرجفة تم التعبير عنه من خلال التشبيه في قوله تعالى:((كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ))، أي: "لم يقيموا فيها"[4].

وقد أفاد هذا السياق؛((ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا)) اختصاص الذين كذبوا شعيباً بالعذاب والخسران، وأما الذين آمنوا مع شعيب فهم الرابحون بفضل الله، والتعبير عن حال الذين كذبوا شعيباً بهذا التشبيه التمثيلي:((كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ)) فيه مبالغة شديدة لما حل بهم من العذاب، فقد أصبحوا ولم يصبح لهم أثر في ديارهم، وعبّر السياق عن حال القوم من خلال عرض صورة ديارهم، فهي كأنها لم تُسكن من قبلهم، وترك هذا التشبيه لخيال المتلقي أن يتصور الكيفية التي

---

[1]) الشوكاني: فتح القدير،ج2، ص374.

[2]) سورة الأعراف، آية: 92.

[3]) سورة الأعراف، آية: 91.

[4]) النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود، (1955)مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المطبوع مع لباب التأويل للخازن،ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ج2، ص113.

عفت فيها آثار المكذبين من قوم شعيب بفعل الصيحة، وكيف أن الله زوى الزمان حتى زالت آثارهم فصارت الديار كأن لم يسكنوها من قبل.

خامساً: التشبيه في قصة يونس عليه السلام: أخبر الله تعالى عن قوم يونس عليه السلام فقال جل شأنه:((فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ))[1]، وأخبر الله تعالى عن سيدنا يونس عليه السلام، فقال جل وعز:((وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ "مُغَـٰضِبًا"[2] فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ))[3].

وجاء في السير: "إنّ الله بعث يونس عليه السلام إلى أهل "نينوى" من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه، وأصروا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه من أمرهم، خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بعد ثلاث – وقيل بعد أربعين ليلة–، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم أسود شديد السواد، فظهر منه دخان شديد، هبط على المدينة وسوّد سطوحهم، فخرجوا إلى الصحراء، وفرّقوا بين النساء والصبيان، وبين الدواب وأولادها، فحنّ بعضها إلى بعض، فعلت الأصوات، وكثرت التضرعات، وأظهروا الإيمان والتوبة، وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم

---

[1]) سورة يونس، آية: 98.

[2]) مغاضباً: غضباناً على قومه.

[3]) سورة الأنبياء، آية: 87-88.

وكشف عنهم العذاب"[1]، لكن يونس عليه السلام لما ذهب مغاضباً بسبب قومه، "ركب سفينة في البحر فلجّت بهم، واضطربت وثقلت بما فيها، وكادوا يغرقون، فاشتوروا فيما بينهم على أن يقترعوا، فمن وقعت عليه القرعة ألقوه من السفينة ليتخففوا منه، فلما اقترعوا وقعت القرعة على يونس عليه السلام، فألقوه في البحر، قال تعالى: ((فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ))[2]، وبعث الله حوتاً عظيماً فالتقمه، وأمره الله أن لا يأكل له لحماً ولا يهشّم له عظماً، فأخذه الحوت وطاف به البحار كلها، ولما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات، فحرك جوارحه فتحركت، فأدرك أنه حيّ، فخرّ لله ساجداً، وكان من تسبيحه قوله:((لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ))، فاستجاب الله له، قال تعالى: ((فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ))[3].

والتشبيه في هذه القصة هو تشبيه ضمني ذكر فيه حال قوم يونس، لما كذبوا رسول الله أرسل عليهم العذاب، وقبل أن يباشرهم عذاب ربهم تابوا وأنابوا، وعلم الله منهم صدق توبتهم، فكشف عنهم العذاب، والمشبه به هو يونس عليه السلام، فقد غضب على قومه، وعصى ربه إذ "هاجر عن قومه قبل أن يؤمر"[4]،ولمّا أدرك قدرة الله عليه نادى ربه تائباً فاستجاب الله له، وكشف عنه الكرب، فوجه الشبه بين طرفي التشبيه هو: التوبة إلى الله والاستغفار عند استشعار قدرة الله وقبل وقوع العذاب، واستجابة الله لدعاء التائب وقبول استغفاره.

---

[1]) الرازي: التفسير الكبير132/17، وابن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، المكتبة الإسلامية، بيروت، ج1، ص391.

[2]) سورة الصافات، آية: 141-142.

[3]) سورة الأنبياء، آية: 88.

[4]) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ج2، ص77.

وهذا التشبيه لم يرد فيه مشبه ومشبه به على الصورة المعروفة لأضرب التشبيه، وإنما جاء على ضرب التشبيه الضمني الذي قال عنه عبدالعزيز عتيق:"هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التركيب، وهذا الضرب من التشبيه يؤتى به ليفيد أنّ الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن"[1]، وتحدث الجرجاني عن هذا الضرب من التشبيه فقال:"إنّ ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهُل الوصول إليه، ويعطي المقادة طوعاً، ومنه ما يُحتاج فيه إلى قدر من التأمل، ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رؤية ولطف فكرة"[2]. والتشبيه بين حال يونس وحال قومه هو من النوع الذي يُحتاج في استخراجه إلى قدر من التأمل. والمعنى الذي بناه هذا التشبيه في قصة يونس وقومه هو: أنّ الله يقبل توبة العبد إذا أخلص النية، والله أعلم.

إن الناظر في تشبيهات القصص القرآني يظهر له أنها تحقق ثلاث صفات هي:

1. المبالغة في إيراد المعنى على أقصى صورة يمكن أن يدركها العقل البشري، وهي مبالغة حققت مطابقة السياق للمعنى المراد، دون أن يكون في النص مبالغة خيالية، ذلك لأن الصور الخيالية بالنسبة للبشر، لا يمكن أن تكون خيالية بالنسبة للخالق عز وجل، فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير.
2. البيان دون أن يكون في الكلام إطالة مملة، فالله تعالى لا يعجزه شيء، والإطالة المملة تكون من الكاتب أو الشاعر، وسيلة حين تعييه الوسيلة للتعبير عن معنى معين.
3. الإيجاز دون أن يكون فيه تقصيرمخل، ذلك أنه جل شأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فتبارك الله رب العالمين الذي تحدّى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل

[1]) عتيق، علم البيان، ص101.

[2]) الجرجاني: أسرار البلاغة، ص71.

القرآن الكريم أو بسورة من مثله، قال تعالى:((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ))[1]. ويقول ابن الأثير:" إن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة إمّا صورة وإما معنى يعزّ صوابه وتعسُر الإجادة فيه، وقلّما أكثر منه أحد إلا عثر"[2]، ذلك لأن الكمال لله وحده وقد كثرت التشبيهات في القرآن الكريم وعبّرت عن المعاني بكل ضروبها وصورها، فحققت الغاية المنشودة في أبها صورها وما ذلك على الله بعزيز.

---

[1]) سورة البقرة، آية:23

[2]) ابن الأثير،المثل السائر،ج1،ص377

الفصل الثالث

التمثيل وأثره في بناء المعنى في القصة القرآنية

1.3 التمثيل لغة واصطلاحاً

التمثيل لغة: المثل: مأخوذ من المثال والحذو، ومثّل له الشيء: صوّره حتى كأنه ينظر إليه، والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله"[1].

التمثيل اصطلاحاً: اختلف علماء البلاغة في تحديد العلاقة بين التشبيه والتمثيل والاستعارة، فالجرجاني يقول:" اعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل"[2]، ويقول ابن رشيق:"التمثيل والاستعارة من التشبيه، إلاّ أنهما بغير أدواته، وعلى غير أسلوبه، وهو يرى أن التمثيل ضرب من ضروب الاستعارة، وأن أول من ابتكره امرئ القيس"[3]. وعرف ابن رشيق التمثيل فقال: "المَثَلُ والمِثْلُ: الشبيه والنظير، وقيل: إنما سمّي مثلاً لأنه ماثلٌ لخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ، ويأمر، ويزجر، وقال قوم: إنما معنى المثل: المثال الذي يحذى عليه كأنه جعله مقياساً لغيره".[4]

ولم يأخذ ابن الأثير بالفصل بين التشبيه والتمثيل فقال:" وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا باباً مفرداً ولهذا باباً مفرداً، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال شبّهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثلته به"[5].

---

[1])ابن منظور، اللسان، ج1، فصل "الميم"

[2]) الجرجاني، أسرار البلاغة،ص73

[3]) القيرواني: ابن رشيق، العمدة،، ج1،ص280

[4])ابن رشيق، العمدة، ج1،ص280

[5]) ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص273

وقال يحيى العلوي في الطراز:"فاعلم أن كلّما كان من التمثيل تظهر فيه أداة التشبيه كالكاف وكأنّ، فإنه معدود من التشبيه ولا يفترقان بحال، لأن التشبيه أكثر ما يطلق على ما كانت الأداة فيه ظاهرة، فأما ما كانت الأداة فيه غير ظاهرة فهو التمثيل؛ فإنه لا يقال له تمثيل إلا إذا كان واردا على حد الاستعارة"[1].

وما أميل إليه هو رأي الجرجاني الذي فرّق بين التشبيه والتمثيل، فجعل التشبيه عام والتمثيل أخص منه.

وقد بيّن الجرجاني فضل التمثيل في بناء المعاني فقال:" والتمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً"[2]. ويرجع الجرجاني الفخامة والنبل والشرف الذي يكتسبه المعنى بالتمثيل إلى: "أن أنس النفوس موقوف على أن نخرجها من خفيٍّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إيّاه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها من العقل إلى الإحساس، وعمّا يعلم بالفكر، إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخبر كالمعاينة، ولا الظن كاليقين، فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس".[3]

ويقرّب الجرجاني أثر التمثيل في جلاء المعاني للنفس فيقول: "وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالعقل المحض، وبالفكرة في القلب، إلى ما يدرك

---

[1])العلوي: يحيى، الطراز، ج2،ص3

[2]) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص88

[3]) المصدر نفسه،ص92

بالحواس أو يعلم بالطبع، وعلى حد الضرورة، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم، فإذا وقع المعنى بنفسك غير ممثل ثمّ مثّلته، كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثمّ يكشف عنه الحجاب ويقول: هاهو ذا".[1]

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية كما وصفه الله تعالى في قوله: ((وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ)).[2] واتصفت قصصه بالصدق وتقديم العبر، وتفصيل الأشياء رحمة من الله لتحقيق الهداية كما قال تعالى: ((لَقَدۡ كَانَ فِى قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَىۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ)).[3] كان أسلوب التمثيل من بين الأساليب السرديّة التي جاء بها القرآن ليحقق غاية الوعظ والإرشاد والاعتبار، ذلك لأن التمثيل إذا وقع في كلام الوعظ " كان أشفى للصدور وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلّي الغيابة، ويبصّر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفي الغليل".[4]

وفيما يلي بعض نماذج التمثيل التي وردت في القصة القرآنية، وكان فيها الكشف عن المعاني الخفيّة أو تأكيد حصول الأمر، أو تأكيد عدم حصوله، أو اختصاص الله بأمر لا يشاركه فيه أحد من خلقه.

---

[1]) الجرجاني، أسرار البلاغة،ص92-93

[2]) سورة النحل، آية:64

[3]) سورة يوسف، آية:111

[4]) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص89

2.3 نماذج من التمثيل في القصة القرآنية وأثرها في بناء المعنى:

أولا: التمثيل في القصة القرآنية لتقريب معنى إحياء الموتى وقصر هذا الأمر على الله تعالى: كان فعل إحياء الموتى والقدرة عليه موضع خلاف بين الأمم والأنبياء الذين أرسلوا إليهم من قبل الله تعالى، إذ استعظم الناس أن يكون الله قادراً على إحياء الموتى بعد أن تكون عظامهم نخرة، وبعد أن تتفرّق في الأرض. وأورد الله بعض أقوالهم في ذلك فقال: ((وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ)).[1] وقالوا: ((أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً)).[2] وقالوا:((أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا)).[3] وبلغ ببعض الأمم إنكار البعث حداً بعيداً فقال الله عنهم: ((زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ)).[4] وأقسموا على ذلك الأيمان، قال تعالى: ((وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ)).[5] لكن الله تعالى أكد لخلقه أن البعث حق، فقال تعالى: ((قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ)).[6] وأخبر جلّ جلاله أن البعث سيكون لجميع خلقه، فقال تعالى: ((يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ)).[7] وتفضّل الله على عباده بأن جعل في

---

[1]) سورة الواقعة، آية:47-48

[2]) سورة النازعات، آية:11

[3]) سورة الإسراء، آية:98

[4]) سورة التغابن، آية:7

[5]) سورة النحل، آية:38

[6]) سورة التغابن، آية:7

[7]) سورة المجادلة، آية:6

القصص القرآني أمثلة نقلت معنى إحياء الموتى من الصورة العقليّة المدركة بالفكر والتدبّر، إلى صورة المدرك بالحواس والفكر، ليهتدي من اهتدى عن بيّنة، ويضل من ضلّ عن بيّنة. ومن نماذج هذا التمثيل:

أ) قوله تعالى:((أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ))[1].

جاء في تفسير هذا المقطع من قصة إبراهيم عليه السلام: "أن النمرود وفي لفظ –النمروذ– أحد ملوك بابل سأل إبراهيم عليه السلام: من ربك؟ فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، أي الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد، فقال النمرود الكافر: إنه يقدر أن يعفو عن القتل فيكون ذلك إحياءً، ويقدر أن يقتل فيكون ذلك إماتة"[2]. ولما كان فهم النمرود لمعنى الإحياء والإماتة لا يدل على المعنى الحقيقي الذي أراده إبراهيم عليه السلام من نسبة الإحياء والإماتة إلى ربه، جاء السرد القصصي بمثلٍ يكشف عن المعنى الحقيقي للإحياء والإماتة. وذلك ما ورد في قوله

---

[1]) سورة البقرة، آية : 258–259

[2]) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص474

تعالى:((أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا...))الآية. فكان في هذا السرد القصصي بيان لمعنى الإماتة والإحياء المقصودين في كلام إبراهيم عليه السلام. وتكرر مثل هذا النموذج في قصة رجل " قيل إنه العُزير، وقيل إنه الخضر، وقيل غير ذلك"[1]، مرّ على مدينة القدس" وقيل غيرها"[2]، بعد تخريب بختنصر لها، فقال مستبعداً أو مستغرباً :((أَنَّىٰ يُحۡىِ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا)). فأراد الله أن يجعله مثلاً يكشف به الظن ويزيل الشك في قدرته جلّ جلاله على الإحياء والإماتة، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، وأراه عملية إحياء الموتى بالمشاهدة. قال تعالى:((وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًا))، هكذا يكون الإحياء الرباني وليس كإحياء النمرود، وهكذا تكون الإماتة بأن ينزع الله الحياة من الأحياء كما وهبها لهم من قبل. إن هذا المثل الذي ورد في القصة بعد ادعاء النمرود القدرة على الإحياء والإماتة، أخرج المعنى من الحالة المجازية إلى الحالة الحقيقية، وجعله أوكد في النفس لأنه أصبح معلوماً بالحواس والطبع، بعد أن كان معلوماً بالفكر، وأصبحت الثقة بهذا المعنى أحكم وأبلغ بالنسبة لذلك الرجل الذي تحدث عنه هذا المقطع القصصي. وكان في هذا المثل الرد على النمرود الذي لم يفهم معنى القدرة الإلهية على الإحياء والإماتة، والردّ على كل من خفي عليه هذا المعنى.

ب) ولتأكيد اختصاص الله تعالى بالمعنى الحقيقي للإماتة والإحياء، ولتطمئن النفوس البشرية لذلك، تكرر مثل هذا النموذج التمثيلي الذي ينقل المعنى من حالة المعلوم بالعقل والفكر إلى حالة المعلوم بالحواس والضرورة. فقال تعالى:((وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيۡفَ تُحۡىِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن

---

[1]) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص389

[2]) المصدر نفسه

لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ)).[1] في هذا المقطع القصصي يتضح أن إبراهيم عليه السلام أدرك بعقله وفكره معنى إحياء الموتى وصدّق بذلك وآمن، لكنه أراد أن تسكن نفسه أكثر وتطمئن جوارحه بيقين أعظم لمعنى الإحياء بعد الموت، فكان أن أتاه الله بهذا المثل الذي شاهده بعينه وأبصر تفاصيله بما لا يدع مجالاً لظن أو استبعاد.

لقد وقع أمر الإحياء عياناً فلم يعد المعنى عقلياً فقط بل أصبح مدركاً عقلياً وحسياً، فكان الأنس بهذا المثل، واطمأن قلب سيدنا إبراهيم الذي كان بلا شك مؤمناً بقدرة الله على الإحياء والإماتة، لكنه بهذه المشاهدة ملك دليلاً لمحاجّة الكافرين والمعاندين المستكثرين على الله أن يحيي الموتى بعد أن ترمّ عظامهم.

ج) ولشدّة ما كان عليه بنوا إسرائيل من الكفر والضلال، وإنكار البعث وقدرة الله عليه، أراد الله أن ينقل لهم معنى إحياء الموتى من حالة الإدراك بالعقل إلى حالة الإدراك بالحواس، ولتبديد شكوكهم، وإقامة الحجّة عليهم؛ جاء هذا التمثيل من خلال سرد أحداث ذبح البقرة، قال تعالى: ((وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ)).[2] وسياق هذه القصة يفيد بأن بني إسرائيل" كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنوا أخيه طمعاً في ميراثه، وطرحوه على باب المدينة، ثمّ جاؤوا يطالبون بدمه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله".[3] قال تعالى: ((فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ

---

[1]) سورة البقرة، آية : 260

[2]) سورة البقرة، آية:72

[3]) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج1، ص67

ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ)).[1] وجاء في تفسير الكشّاف" المعنى: فضربوه فقام حيّاً، روي أنهم لمّا ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دماً وقال: قتلني فلان لابن عمّه، ثم سقط ميّتاً".[2]

إن هذا التمثيل القصصي أثبت بالمشاهدة أن الإنسان يحيا بعد موته بأمر من الله، وأنه عندما يحيا يكون قادراً على تذكّر ما حصل معه قبل موته، وهذه هي المعادلة التي يكذّب بها الكافرون، فقد ورد على ألسنتهم إنكار البعث والحساب. قال تعالى:((وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأَخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ)).[3] وقال تعالى:((وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَـٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ)).[4]

إن الذي قالوا عنه أساطير الأولين، جعله الله في هذا المثل حقيقة واقعة، فقد عاش بعد الموت رجل يعرفونه وأخبرهم بما يعرفون، وفي هذا تحققت الغاية من المثل، وهي: إمكان وقوع الأمر العقلي الذي يظن الكافر أنه لن يقع، وهو إحياء الموتى. ثمّ أكد الله وقوع ذلك الخبر العقلي على سبيل الحقيقة المحسوسة فقال:((وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ

---

[1]) سورة البقرة، آية:73

[2]) الشوكاني، فتح القدير،ج1،ص212، والزمخشري، الكشّاف، ج1، ص289

[3]) سورة الواقعة، آية:47-50

[4]) سورة النمل، آية:67-68

ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ)).[1] إنها زجرة واحدة، ضربة واحدة لرجل ميّت بقطعة لحم ميّتة جعلته حيّاً ينطق، ولم يتوقف الأمر عند الإحياء بعد الإماتة، ولكنه تعداه إلى المحاسبة والسؤال والعقاب والثواب، فالكافر يؤخذ إلى صراط الجحيم، أمّا عباد الله المكرمين، فقد قال الله تعالى عنهم: ((أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ)).[2]

د) وكما مثّل الله تعالى بقدرته على إحياء الميّت الفرد، جاء بمثل على إحياء الجماعة الكثيرة، وأشار في آية واحدة إلى قصة قوم أماتهم ثمّ أحياهم، قال تعالى:((أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَـٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ)).[3] قال المفسرون إن هذه الآية أخبرت بقصة قوم" قيل إنهم من بني إسرائيل، أمرهم ملكهم بقتال عدوّهم، فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت، فاعتلّوا وقالوا لملكهم: إن الأرض التي تأتيها بها وباء، فلا تخرج حتى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت، فخرجوا فراراً منه، فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلمّا خرجوا قال الله لهم: موتوا،

---

[1]) سورة الصافات، آية:15-24

[2]) سورة الصافات، آية:41-47

[3]) سورة البقرة، آية:243

عقوبة لهم ، فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد، فمرّ عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم، فمرّ عليهم حزقيل بن بوذى وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى، فوقف عليهم وجعل يفكر فيهم فأوحى الله إليه: أتريد أن أريك آية؟ قال: نعم يا رب، فأحياهم الله تعالى، وقيل إنهم قالوا حين أُحيوا: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، ثمّ رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهراً طويلاً حتى ماتوا لآجالهم".[1]

هذه القصة التي جاءت مجملة بآية واحدة، أثبتت لبني إسرائيل المعاندين المكذبين أن الله القادر على إماتة فرد واحد ثمّ إحيائه، قادر على إماتة الجمع الكثير ثمّ إحيائهم، فقد قيل إن الألوف الذين وردوا في هذه القصة كانوا" عشرة آلاف، وقيل ثلاثون، وقيل سبعون ألف".[2] وهذا التمثيل مما يزيل الشك بقدرة الله على الإحياء عامّة والإماتة عامّة، وإنه هو المختص بذلك، فليس المرض الذي يميت، وليس القتال هو الذي يميت، وإنما الله هو الذي يميت إذا شاء متى شاء وكيف شاء، ويحي إذا شاء متى شاء وكيف شاء.

إن المتدبر لهذا المثل يجد فيه النموذج لحال منافقي العرب الذين كانوا مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في غزوة الأحزاب، إذ قال الله فيهم:((وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)).[3] كان ذلك حال المنافقين العرب والذين في قلوبهم مرض، يتعللون بأعذار واهية للفرار من القتال مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وكانت حقيقة أمرهم أنهم جبنوا وشكوا في

[1]) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص168

[2]) الزمخشري، الكشّاف ، ج1، ص377

[3]) سورة الأحزاب، آية:12-13

نصرة الله لرسوله، فاختلقوا الأعذار، لكن الله تعالى جاءهم بمثال ممن سبقهم من الأمم، وبين لهم أن الفرار من الموت لا ينجي من حلّ عليه الأجل، وخاطبهم الله تعالى فقال: ((قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)).[1]

وهذا الإخبار من الله بعدم جدوى الفرار من القتال فيه تحريض على القتال وعدم الركون إلى وساوس الشيطان الذي يوهم ضعاف النفوس أن القتال هو سبب الموت وليس إنتهاء الأجل. والمثل المحسوس على ذلك هو في خبر الألوف الذين فرّو من القتال خشية الموت فأماتهم الله دون أن يقاتلوا.

ثانياً:ومن نماذج التمثيل في القصة القرآنية: ما جاء لتقريب معنى قدرة الله على تغيير الشيء من جنس إلى جنس ومن ميّت إلى حي ثم إعادته إلى الموت مرة أخرى ذلك ما ورد في قصة موسى–عليه السلام– حيث ناداه رب العزّة قائلاً: ((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾)).[2] لقد أوضح موسى عليه السلام ماهية الشيء الذي بيده، إنها عصاه التي يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، والعصا هي في العادة جذع شجرة ميّت، جاء وصفه على لسان سيدنا موسى عليه السلام محدداً، فهو إذ يتوكأ عليها، فهي حتماً صلبة قوية تحتمل أن يتكئ عليها الإنسان، وهي إذ يهش بها على غنمه فهي مفصولة عن أمها متحركة طوع يده، وله فيها مآرب أخرى كالدفاع عن النفس والمساعدة في قطف ثمار الأشجار، وفي جميع الاستخدامات التي يستعمل الرعاة في العادة عصيّهم فيها،

---

[1]) سورة الأحزاب، آية:16

[2]) سورة طه، آية :17-18

إنها إذن مثل عصي الرعاة، جذع شجرة ميّت، لكن الله القادر على إحياء الموتى، أمر موسى أن يلقي تلك العصا، قال تعالى:((قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ)).[1] لقد ألقى موسى عصاه التي يعرفها ويعرف استخداماتها التي يعرفها الناس جميعاً، ولمّا كان أمر الأشياء جميعاً بيد الله، يقول للشيء كن فيكون، أمر العصا الميّتة أن تحيا وأن تكتسب صفات مخلوق من مخلوقاته معلوم الصفات عند البشر، فكانت بأمر الله حيّة تسعى، وقال الله تعالى عنها في آية أخرى بأنه تهتز كأنها جان، قال تعالى: ((وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)).[2] وفي آية أخرى قال الله عنها بأنها تأكل. قال تعالى: ((وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ)).[3] وقال الله عنها في آية أخرى: ((فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ)).[4]

لقد تحوّلت العصا من حالة الموت إلى حالة الحياة، وتبدلت جميع صفاتها التي تؤكد موتها، بصفات تؤكد حياتها، ومن كونها من جنس النبات إلى كونها من جنس الحيوان وهذا ما لا يقدر عليه غير الله. ثمّ لمّا أراد الله أن يعيدها إلى الموت قال جلّ جلاله: ((قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ)).[5] إن هذه الآيات من قصّة موسى عليه السلام تقرّب معنى الإحياء والإماتة الذي هو من شأن الله

---

[1]) سورة طه، آية :19-20

[2]) سورة القصص، آية:31

[3]) سورة الأعراف، آية :117

[4]) سورة الشعراء، آية :32

[5]) سورة طه، آية :21

وحده، وليس لعبد ولا معبود سواه، وأمّا إدعاء السحرة بتحويل الحبال والعصيّ الميّتة إلى أحياء، فقد بطل، وظهر الفرق بين الحقيقة والخيال. ودلّ السرد على أن الله قادر على إحياء الموتى وتحويل الأشياء من جنس إلى جنس، وكان السحرة قد أدركوا هذه الحقيقة، وأدركوا أن الله الذي أحيا العصا ثم أعادها سيرتها الأولى ميّتة، قادر على إماتتهم ثم إحيائهم، ولذلك آمنوا به واتبعوا رسوله.

إن هذا التمثيل لإحياء العصا الميّتة ونقلها من جنس النبات إلى جنس الحيوان، كان كافياً لإقناع السحرة بأن الله الذي يدعو إليه موسى قادر على كل شيء، وليس لفرعون تلك القدرة، وقد قرّب التمثيل المعنى الحقيقي للإحياء بعد الموت ثم الإماتة بعد الحياة. فالعصا كانت ميتة فأحياها الله أمام أعينهم وتحركت وأكلت حبالهم وعصيّهم ثم أعادها الله إلى الموت.

لقد كان هذا المثل كافياً لإقناع السحرة بصدق الخبر المعقول الذي جاء به موسى عن ربه، وشاهِد قناعتهم أنهم خافوا عقاب ربهم ورب موسى مع أن ذلك العقاب معقول غير محسوس، ولم يخافوا عقاب فرعون الذي هددهم بقطع الأيدي والأرجل والصلب في جذوع النخل. قال تعالى:((قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ)).[1] لقد أدرك السحرة العبرة من المثل وأيقنوا بقدرة الله تعالى وصدّقوا ما جاء به موسى من البيّنات، وهان عليهم أمر فرعون فعقدوا العزم

[1]) سورة طه، آية:71-73

على عدم إيثاره بالربوبية على الله الذي فطرهم وخلقهم، وأيقنوا أن ما عنده من الرحمة والمغفرة خير وأبقى.

ومن نماذج قدرته تعالى على إنزال العقاب بالعُصاة من خلقه: ما جاء في قصة قوم نوح- عليه السلام- إذ أرسل الله عليهم الطوفان، قال تعالى: ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ)).[1] ووصف الله تعالى في هذه القصة استجابته لنبيّه عليه السلام وصوّر الكارثة التي حلّت بقومه جرّاء تكذيبهم له وإعراضهم عن دعوته، قال تعالى: ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)).[2] وفي القصة كشف الله تعالى لقوم نوح بعض مظاهر قوته وشدّة عذابه، وبعض مظاهر قدرته على نصرة رسله ومن آمن معهم، قال تعالى:((حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ

---

[1]) سورة العنكبوت، آية:14-15

[2]) سورة القمر، آية: 9-15

ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ)).[1]

لقد تحقق لقوم نوح، من آمن منهم ومن كفر، كيف يكون العذاب الشديد من الله. وأصبح المعنى العقلي لقدرة الله مدركاً بالحواس، مؤكد الوقوع على من كذّب رسله. وتكررت الأمثال في القصص القرآني، وتعددت صور العقاب الشديد الذي أوقعه الله بالكافرين، فهاهم قوم عاد، استكبروا في الأرض وغرّتهم قوتهم، فقال الله تعالى عنهم: ((فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ)).[2]

إن هذا العذاب الذي حلّ بقوم عاد لم يكن إلاّ نموذجاً بسيطاً كشف عن قدرة الله على إنزال أشد العقوبة بأعدائه، وجاء هذا المعنى المدرك بالحاسة لينذر الكفرة من بعد قوم عاد، ليكونوا على يقين بأن الله قادر على فعل ما يشاء، لا ينازعه فيما شاء منازع. ووصف الله حال قوم عاد بعد أن أرسل عليهم ريح صرصر فقال:((فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ)).[3]

وجاء في القصص القرآني تمثيل لشدة قوّة الله وقدرته على اختيار نوع العذاب الذي يناسب كل قوم حسب معصيتهم، فكان عقاب ثمود قوم صالح- عليه السلام-

---

[1]) سورة هود، آية:39-42

[2]) سورة فصلت، آية:15-16

[3]) سورة الحاقة، آية:7

أن أخذتهم الرجفة. قال تعالى: ((فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ)).[1] وكانت عقوبة قوم لوط–عليه السلام– أن أنزل الله عليهم مطراً من السماء. قال تعالى: ((وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ)).[2] وقلب عليهم مدينتهم. قال تعالى: ((فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ)).[3] وفي خاتمة هذه الآية إشارة لأهمية هذا المثل، فهو يحذّر الظالمين من إنزال هذه العقوبة بهم في أي زمان، وقد جعل الله هذه العقوبة آية باقية للإعتبار بها، ولتكون حجّة على الناس بأن المعنى العقلي لقوّة الله وقدرته على الفعل الذي يشاء ليس لها حدود.

ومع تعدد الأمثلة الدالة على نقل المعنى العقلي للشدّة في عقاب الله لكل كافر به، تعددت صور نقله جلّ جلاله للمعنى العقلي لقدرته، فهو في العقوبة يسخّر الماء، والريح، والأرض. كما جاء في قصة قارون الذي خسف الله به وبداره الأرض، قال تعالى: ((إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ

---

[1]) سورة الأعراف، آية:78

[2]) سورة النمل، آية:58

[3]) سورة هود، آية:82–83

يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ)).[1] وكذلك ما جاء في قصة السامريّ الذي أضلّ بني إسرائيل، وقال الله فيه: ((فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ)).[2] وجعل الله عقوبته ظاهرة للعيان مدركة بالحواس. فقال تعالى: ((قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدًا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا)).[3] وما جاء في قصة الذي آتاه الله من آياته فانسلخ منها. قال تعالى: ((وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ

---

[1]) سورة القصص، آية:76-81

[2]) سورة طه، آية:88

[3]) سورة طه، آية:97

يَلۡهَثۚ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)).[1]

لقد أورد الله تعالى قصة هذا الرجل من بني إسرائيل موجزة بآيتين فقط، ونبّه فيها على التفكّر في قدرة الله على إنزال العقوبة بأشكال لا تخطر على بال العاصي، لشدّة غفلته. وجاء بعدها قوله تعالى: ((سَآءَ مَثَلاً ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ)).[2] فهذا الرجل وأمثاله من الكافرين هم القدوة السيّئة والنموذج السيّء لكل ظالم.

وكما سخّر الله بعض العناصر الميّتة في الطبيعة وجعلها أسلحة يعاقب بها أعداءه وأعداء رسله، سخّر بعض الكائنات الحيّة لتكون فيها العقوبة الزاجرة لكل من يعصيه، فقد جمع على قوم فرعون أنواعاً متعددة من العقوبة. قال تعالى: ((وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ)).[3] وسلّط الطير على أصحاب الفيل. قال تعالى: ((أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا

---

[1]) سورة الأعراف، آية:175–176

[2]) سورة الأعراف، آية:177

[3]) سورة الأعراف، آية:130–133

أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ)).[1] هذه الأمثلة نقلت معنى قدرة الله على معاقبة الكافرين بأشكال ووسائل متعددة من حال المعنى العقلي إلى حال المعنى المحسوس.

ثالثاً: التمثيل في القصة القرآنية لبيان كون بعض المعاني العقلية مستحيلة الإدراك بالحواس: إن في هذا الفن البلاغي العجيب أسرار لا يمكن تحقيقها إلا به، فالتمثيل في القصص القرآني كشف لنا أن بعض المعاني لا يمكن للبشر إدراكها بالحواس وإنما تدرك فقط بالعقل. وجاء هذا في قوله تعالى:((وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ))[2].

في هذا الجزء من قصة سيدنا موسى يخبر الله تعالى بأن موسى سأل ربه أن يمكّنه من رؤيته. ولما كان هذا الأمر مما لا يمكن تحققه للإنسان في حال الحياة الدنيا، جاء هذا المثل ليكشف لموسى عليه السلام بأنه جلّ جلاله قادر على أن يمكنه من رؤيته جلّ شأنه، لكن جبلّة موسى غير مهيأة لتحمل تلك المشاهدة.

ولما كانت غاية موسى من طلب رؤية الله تعالى هي التعرف على قدرته ومشاهدة بعض صفاته، أمره جلّ شأنه أن ينظر إلى الجبل الذي فيه من الضخامة والشدة ما يفوق طاقة البشر، فلما تجلى الله لذلك الجبل بهيئة هو أعلم بها، صار الجبل دكاً، وكان حال ذلك الجبل مشاهداً بالحواس حال تجلي الله له، فلما رأى

---

[1]) سورة الفيل، آية:1-5

[2]) سورة الأعراف، آية :143

موسى ما حلّ بالجبل، فطن إلى المعنى المقصود من المثل، والذي هو أن طاقة الإنسان غير مؤهلة لتحمل تجلي الخالق لها في هذه الحياة الدنيا، ولو تجلى الله للإنسان في الدنيا فلا بد أن يكون حاله أشد دكاً من ذلك الجبل العظيم. وقد تحول في هذا السياق معنى قوله تعالى: ((لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ)).[1] من حالة كونه عقلياً مدركاً بالفكر والتدبر والتأني والتأمل، إلى حالٍ محسوسة مدركة بالضرورة، فكان أن قال موسى عليه السلام فور إفاقته:((سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)). فقد نزّه ربه ومجّده وتاب إليه مما أدرك أنه تجاوز فيه حدّه، وأعلن عن مسارعته للإيمان بالله وتصديقه بكل المعاني العقلية التي شكّلها السرد القولي في كلام الله.

وبهذا التمثيل تحقق بناء معنى استحالة أدراك الإنسان لبعض المعاني بالحواس، وإمكان إدراكها فقط بالعقل، فالجبل الذي أصبح دكاً لم يستقر مكانه كما أن موسى لم يكن قادراً على رؤية ربه. لقد تحقق في هذا المثل معنى القياس دون أن يكون في النص كلام عن القياس.

ومثل هذا المعنى جاء في قوله تعالى:((إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ))[2]، ففي هذه الآية تمثيل لأمر لا يمكن وقوعه عقلاً ولا عادة، وهو أن يدخل الحبل الغليظ في ثقب إبرة الخياطة، وكما أن هذا غير ممكن عقلاً ولا عادة فدخول الكافرين الجنّة غير ممكن بحال من الأحوال المعهودة للبشر، وقد بين السياق معنى الحالة التي لا تحتمل الوقوع، وأصبح ذلك المعنى مدركاً بالقياس الذي حققه التمثيل.

---

[1]) سورة الأنعام، آية:103

[2]) سورة الأعراف، آية: 40

رابعاً: التمثيل في القصة القرآنية لبناء معنى التضحية والحثّ عليها: شكّل السرد في قصة إبراهيم- عليه السلام- معنى التضحية من أجل العقيدة، كنموذج للإحتذاء. وتعددت صور التضحية في هذه القصة، أعرض بعض نماذجها:

أ) التضحية بالنفس من أجل العقيدة: قال تعالى: ((قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ)).[1]

أنكر إبراهيم على قومه عبادة الأوثان، وحاورهم حواراً عقلياً، ودعاهم لعبادة الله الذي بيده النفع والضر، والذي إليه يرجعون، قال تعالى: ((وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)).[2] لكن قومه أصروا على الكفر، وكان جوابهم معبراً عن عظيم تقديسهم لتلك الأوثان. قال تعالى: ((فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)).[3] وقوله: ((فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ))، يثبت إصرار إبراهيم على معاداة الأوثان والتضحية بنفسه من أجل الثبات على إيمانه بالله، وأن القوم نفّذوا قرارهم باحراقه، لكن الله

---

[1]) سورة الأنبياء، آية:66-68

[2]) سورة العنكبوت، آية:16-17

[3]) سورة العنكبوت، آية:24

تولاه وأنجاه من هذه العقوبة، وجعل النار برداً وسلاماً عليه. قال تعالى:((قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ)).[1] وهذا الثبات على المبدأ، وهذه التضحية بالنفس من أجله، ارتدّت خسراناً وهواناً على قومه، إذ ثبت لهم أن إله إبراهيم أنجاه من النار، وأمّا آلهتهم فلم تدفع الأذى عن نفسها ولم تستطع الإبلاغ عن محطمها حين قال لهم إبراهيم: ((فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ)).[2] وتوصّل القوم بعد مساءلة إبراهيم عن تحطيمه الأصنام، إلى حقيقة مفادها: أنهم هم الظالمون لأنفسهم وليس الذي حطّم الأصنام هو الظالم. قال تعالى: ((فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)).[3] باتباعهم الأصنام والإعراض عن عبادة الرحمن.

وفي هذا السرد القصصي جاء التمثيل للاحتذاء به، فقد قدم نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، أرواحهم فداءً لدينهم وعقيدتهم، وخاضوا غمار الوغى، فمنهم من نال الشهادة، ومنهم من نال النصر والأجر. وظلّت تضحية إبراهيم- عليه السلام- من أجل دينه نموذجاً للإحتذاء، وستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وقد أرشدنا الله تعالى إلى ذلك الإحتذاء بقوله: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ)).[4] وكما ضحّى إبراهيم- عليه السلام- بنفسه من أجل عقيدته ضحّى بوطنه من أجل هذه العقيدة. قال تعالى: ((وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا

---

[1]) سورة الأنبياء، آية:69

[2]) سورة الأنبياء، آية:63

[3]) سورة الأنبياء، آية:64

[4]) سورة الممتحنة، آية:4

لِلْعَٰلَمِينَ)).[1] وقال تعالى: ((فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)).[2] لقد هجر إبراهيم ولوط- عليهما السلام- وطنهما فراراً بالعقيدة، وكانت هذه التضحية نموذجاً احتذا به رسولنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وصحبه الكرام، فهاجروا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم، متأسّين بأبي الأنبياء إبراهيم- عليه السلام-.

ب) التضحية بالولد من أجل العقيدة: وفي ضرب آخر من ضروب التضحية عبّر عنه سياق قصة إبراهيم-عليه السلام- قال تعالى: ((فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)).[3] في هذا المقطع القصصي بيّن السرد أن سيدنا إبراهيم- عليه السلام- عقد العزم على تنفيذ أمر ربه بذبح ولده طاعة لله وتقرباً إليه، وقام بكل إجراءات التنفيذ، فأخبر ولده بما عزم عليه وتلّه للجبين وشحذ سكينه، ولم يبق إلاّ أن يقع فعل الذبح، لكن الله لطف بنبيّه، وكافأه على تضحيته بنفسه من أجل دينه، ففدا ولده بذبح عظيم، ورحم ذريّته من بعده فلم يجعل التقرب إلى الله بذبح الأولاد.

---

[1]) سورة الأنبياء، آية:70-71

[2]) سورة العنكبوت، آية:26

[3]) سورة الصافات، آية:101-107

وكان هذا المثل في التضحية والفداء محلّ احتذاء أمّة محمد- صلى الله عليه وسلم- حيث جعلت التضحية سنّة يتقرب فيها العبد إلى ربه ويشكره على فضله وجزيل نعمه. قال تعالى: ((ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا)).[1]

وفيما جاء في أمثلة التضحية وبيان حسن عاقبتها، تأسيس لمعنى الحضّ عليها، والإكثار منها سواءً كانت في جانب الدين أو الدنيا.

خامساً: التمثيل في القصة القرآنية لبناء معنى العفو عند المقدرة: في قصة يوسف-عليه السلام- جاء السرد بمثل للاحتذاء به، تضمّن معنى العفو عند المقدرة، قل تعالى: ((قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)).[2] فبعد أن اعترف إخوة يوسف بالخطأ الذي وقع منهم في حق أخيهم، وتبدّلت الأحوال فكان هو في المركز الأقوى، وهم في المقام الأضعف، عفا عنهم وسأل الله لهم المغفرة، وهذا المعنى أيضاً احتذا به رسولنا محمد- صلى الله عليه وسلم- يوم دخل مكة فاتحاً، فكان هو الأقوى وقومه في حال الضعف والهزيمة، روي أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:"أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش: ما ترونني فاعلاً بكم؟ قالوا: نظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت، فقال: أقول ما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم".[3] وهذا المثل يؤسس لمعنى الخُلق الكريم الذي يؤثر العفو عند المقدرة على الانتقام الذي لا يناسب الأنبياء والصالحين.

---

[1]) سورة النحل، آية:123

[2]) سورة يوسف، آية:92

[3]) الزمخشري، الكشاف،ج2، ص342

سادساً: التمثيل في القصة القرآنية لبناء معنى سوء عاقبة "حبّ الذات": حب الذات آفة لا تليق بأهل الفضل، ولا تكون من شيم الصالحين، جاء في قصص القرآن الكريم التعبير عن حب الذات من خلال سرد قصصي، مثّل هذه الخاصيّة خير تمثيل، وأبرز ما يؤول إليه صاحب هذه الخصلة من الندم والخسران.

فقد جاء في قصة ابني آدم قوله تعالى: ((وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ)).[1] إن أحداث قصة ابني آدم هذه، جاءت على صيغة الإخبار بحادثة وقعت، قتل فيها أخ أخاه، وسبب هذه الجريمة كما جاء في كتب التفسير أن ابني آدم" هما قابيل وهابيل، أوحى الله إلى آدم أن يزوّج كل واحد منها توأمة الآخر، وكانت توأمة قابيل أجمل، واسمها إقليما، فحسد عليها أخاه وسخط، فقال لهما آدم: قرّبا قرباناً فمن أيّكما تُقُبّل زوّجها، فقُبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته، فازداد قابيل حسداً وسخطاً، وتوعده بالقتل، وقيل هما رجلان من بني إسرائيل".[2]

---

[1]) سورة المائدة، آية:27-31

[2]) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص606

والدافع إلى القتل كما يظهر من سرد القصة، هو الحسد، والحسد هو: أن يتمنى الشخص زوال النعمة عن الآخر، أو أن تؤول إليه نعمة الآخر.[1] فالنص بيّن أن المقتول قرّب قرباناً وتُقُبِّل منه، والقاتل قرّب قرباناً فلم يُتَقَبَّل منه، وصرّح النص أن الله يتقبل من المتقين، واستخدم أداة الحصر (إنما)، وهو بذلك لن يتقبل من العصاة المعاندين، وإن كان ما جاء في التفسير أن أصل الخلاف كان على زواج التوأمة الجميلة، فذلك يكشف أيضاً عن حب الذات لدى القاتل، وتمني الحصول على النعمة التي حصل عليها غيره، فقابيل أراد أن يختص لنفسه بالفتاة الجميلة، وغضب لأن الله تقبّل قربان أخيه، فأدّى حبّه لذاته وحسده أخاه إلى ارتكاب جريمة القتل. ولم يحقق له القتل هدفه، ذلك لأن النص أفاد بأنه بعد القتل أصبح من الخاسرين ومن النادمين.

ومن شدّة ندمه وعظيم خسرانه، تمنى لو أنه كان مثل أشأم الطيور. ذلك ما أخبر به الله عنه في قوله:((قَالَ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَـٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي)). وما من عاقل يتمنى أن يكون مثل هذا الطائر الخسيس المشؤوم، لكن قابيل المحب لنفسه الحاسد لأخيه تمنى ذلك، وتلك عاقبة كل محب لنفسه حاسد لغيره.

وفي قصة يوسف- عليه السلام- كانت عاقبة الحسد وحب الذات خسراناً، فإخوة يوسف، حسدوه على حب أبيهم له وأعجبتهم كثرتهم وقوتهم، فظنوا أنهم أجدر بالحب من أخيهم الصغير الضعيف، ودفعهم ذلك الحسد وحب الذات إلى ارتكاب جريمة الشروع بالقتل، طمعاً بالاستئثار بحب أبيهم، وخطط الإخوة ونفّذوا خطتهم التي اتفقوا عليها بالتشاور، قال تعالى: ((لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ

---

[1])أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص172

أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ)).[1] وتضمّنت خطة الأخوة مخادعة أبيهم وإيهامه بحبهم ليوسف ورغبتهم باصطحابه معهم لمكان لهوهم ورعيهم، وتمكّن الأخوة من إقناع أبيهم بحسن النيّة المزعوم. وعندما ذهبوا بيوسف، ألقوه في غيابة الجبّ، وعادوا إلى أبيهم لإكمال الفصل الآخر من الخطة، وهو إظهار البراءة من الجريمة، لكنهم وقعوا في أخطاء أدت إلى كشف أبيهم لزيف ادعائهم، وخسروا مودته وحبه، كما خسروا أخاهم. وأما الأخطاء التي وقع فيها الإخوة فهي أن الدم الذي جيء به على قميص يوسف كان دماً كذباً، وكان القميص سليماً من التمزيق الذي يصاحب عدوان الذئب عليه، لو كان ذلك صحيحاً.

وما كان إخوة يوسف ليخسروا طاعة أبيهم وحبه لهم، لولا حسدهم وحبهم لذواتهم أكثر من حبهم لأخيهم، وقد أشار النص إلى أن يعقوب كان يحب أبناءه قبل هذه الحادثة، فقد قالوا: ((لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا)). وهذا يشير إلى أن يعقوب كان يحبهم لكنهم طمعوا بالتميز بالحب أغتراراً بكثرتهم وقوتهم. فخسروا حب أبيهم وثقته، قال تعالى: ((وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ)).[2]

وتوالت أحداث القصة، واكتشف الإخوة أنهم كانوا خاطئين، إذ دفعهم الحسد إلى سوء الظن بأبيهم، والكيد لأخيهم، ولم يتحقق لهم من ذلك خير. وهذا التمثيل لسوء عاقبة الحسد هو النموذج لسوء عاقبة الكافرين الذين تمنوا ارتداد المسلمين عن دينهم وعودتهم إلى الكفر حسداً من عند أنفسهم. قال تعالى: ((وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ

---

[1]) سورة يوسف، آية:7–10

[2]) سورة يوسف، آية:17

أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ)).[1] فبعد أن أيقن بعض أهل الكتاب أن الإسلام هو السبيل القويم، دفعهم حسدهم لتمنّي ارتداد المسلمين عن هذا الدين، كي لا ينالوا الجنة، وهم بحسدهم ذاك ما نالوا ولن ينالوا إلاّ خسران الدنيا والآخرة.

وهذه الأمثلة إنما تدعو المتدبّر إلى نبذ الحسد والإقلاع عن حب الذات، ففي نتائجها العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

سابعاً: التمثيل بالمعنى الظاهر للقصة القرآنية ليُقاس عليه المعنى الخفي: جاء في القصص القرآني من المعاني الخفيّة ما لا يجلّيه للنفس البشريّة إلا التمثيل بالمحسوس، ومن تلك المعاني: إن حق الله على عباده الطاعة والاستسلام له، وشكر نعمته، وعدم منازعته في شيءٍ من ملكه. وقد جاء في قصة موسى مع فرعون ما أخرج هذا المعنى من حال الخفاء إلى حال المدرك بالحاسة، الموصل إلى المعنى العقلي بأيسر سبيل. قال تعالى: ((وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ)).[2] فقد منّ فرعون على موسى أن ربّاه وليداً، حيث عثر عليه بعد أن

---

[1]) سورة البقرة، آية:109

[2]) سورة الشعراء، آية:10−18

ألقاه اليمّ بالساحل. قال تعالى: ((إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ)).[1] وأراد فرعون أن يقتل موسى وهو طفل لا حول له ولا قوة، إلا أن الله شاء أن يكون في هذا الطفل خير مثال لحال فرعون، فوقع حب الطفل في قلب امرأة فرعون. فقال الله عنها:((وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا)).[2] وشاء الله أن يكبر موسى ويكون رجلاً قوياً جداً، ولكنه وبهدى من الله أصبح لفرعون وآله عدوّاً وحزناً. قال تعالى:((فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا)).[3] ذلك أن الله تعالى أيّده بالمعجزات وأرسله وأخاه هارون إلى فرعون وقومه ليخرجهم من الضلال إلى الهدى، ورسم لهما أسلوب الدعوة فقال تعالى:((ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ)).[4] فمن أجل أن يتذكر فرعون أو يخشى جعل الله في قصّته مع موسى مثالاً واضح الدلالة، إذ كانت حال موسى– الطفل– في ضعفه وقلة حيلته مثل حال فرعون إذ خلقه الله طفلاً ضعيفاً لا حول له ولا قوة، وتفضّل الله على فرعون بأن ربّاه وآتاه الأموال والبنين والسلطان، قال تعالى: ((وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ

---

[1]) سورة طه، آية:38–39

[2]) سورة القصص، آية:9

[3]) سورة القصص، آية:8

[4]) سورة طه، آية:43–44

زِينَةً وَأَمۡوَٰلاً فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)).[1] وبلغ من اغتراره بما عنده من المال والجاه والسلطان أن ادّعى الألوهية، واستخفّ قومه فأطاعوه، قال تعالى: ((وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِى قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِى مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِى مِن تَحۡتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِىَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ)).[2] ومع اغترار فرعون بكل هذه النعم التي يعلم أن ليس له يداً في تحصيلها، ويعلم ضعفه وقلة حيلته، وأنه جاء إلى الدنيا ضعيفاً ولم يخلق منها شيئاً، ولا اتصف بصفة من صفات الخالق جلّ جلاله، مع ذلك فقد ادّعى الألوهية فقال لقومه. قال تعالى: ((وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِى)).[3] وأخبر عنه رب العزّة فقال: ((فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ)).[4] ولو خفيت حقيقة الشخص على الناس فلن تخفى حقيقة الإنسان على نفسه، ومع أن فرعون كان في نفسه على يقين أنه ليس إلهاً، وأنه رجل مثل كل رجال قومه، ولد مثلما ولدوا، ويموت مثلما يموتون، وأنه لم يخلق أحداً منهم ولا يستطيع أن يزيد في عمر نفسه ولا في عمر أحد من قومه،إلا أنه لم يقبل أن يخرج على أمره أحد، واعتبر خروج موسى والذين آمنوا معه على أمره موجباً لقتلهم وصلبهم على جذوع النخل.

---

[1]) سورة يونس، آية:88

[2]) سورة الزخرف، آية:51-54

[3]) سورة القصص، آية:28

[4]) سورة النازعات، آية:23-24

لقد كان هذا المثل كافياً ليعود فرعون إلى ذاته فيذّكر أو يخشى، يذّكر أن الذي خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم سوّاه رجلاً، وأعطاه من النعم ما أعطاه، لا يقبل منه المعصية والإعراض عن دينه، ولا يقبل منه أن ينازعه ملكه فيدّعي الألوهية، ويتوعد من خالفه بالقتل، قال تعالى:((وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ)).[1] والفساد هو فعل فرعون ذاته، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال شهادة أحد رجال فرعون الذي كان آمن بموسى سراً وقال الله عنه:((وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ)).[2] وأدرك الخبراء بمهنة السحر أن فعلهم هو الباطل، وأن ما جاء به موسى هو الحق من عند الله فآمنوا رغم ما يظهر من ضعف موسى وقوة فرعون.

لقد كان الأجدر بفرعون أن يطبق نفس المعيار على نفسه، إذ كيف يغتاظ إذا خرج على أمره بعض رجاله، ويمن عليهم بما استحق أن يمن عليه الله به من قبل، ولا يعرف حق المنعم الذي أعطاه كل شيء، وفي هذا المعنى جاء في الكشاف: "روي أن جبريل– عليه السلام– أتاه - أي فرعون– بفُتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه، فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيّده، الكافر نُعماه، أن يغرق في البحر. فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه"[3]. وبذلك يظهر أن فرعون لم يدرك معنى المثل إلا عندما أدركه الغرق ولات حين مناص. لقد استحق فرعون العذاب فقد قبل لربه ما لم يقبله لنفسه.

---

[1]) سورة غافر، آية:26

[2]) سورة غافر، آية:28

[3]) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص251

الفصل الرابع
ظاهرة الإيحاء وأثرها في بناء المعنى في القصة القرآنية

1.4 مفهوم الإيحاء:

الوحي:"الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك"[1]. وجاء في المعجم الوسيط: "وحى إليه، وله، يحي وحياً: أشار وأومأ، وأوحى إليه: أشار وأومأ"[2].

والإيحاء مصدر الفعل وحى، وهو الإشارة والإيماء بالمعنى. ويكون من الله إلهاما بالمعنى أو بالمعنى واللفظ، ومن الخلق إشارة واعتبارا، وتكون الإشارة باللفظ وغير اللفظ، قال إسحق بن حسان بن فوهي الحزيمي: لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحدٌ قط، سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع ومعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخُطباً، ومنها ما يكون رسائل. فعامّة ما يكون من هذه الأبواب الوحيُ فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة.[3]

في هذا النص نجد ابن المقفع قد عدد الوجوه التي توحي للمتلقي بالمعاني وتشير إليه بها، وبيّن أن الغاية هي إيصال المعنى للمتلقي، "فعامّة ما يكون من هذه الأبواب: الوحي فيها والإشارة إلى المعنى". والإيحاء بالمعاني والإشارة إليها في نظم القصص القرآني جاء جلياً أحياناً وخفياً أحياناً أخرى، وتميز نظم القصص القرآني بغزارة المعاني الإيحائية، التي تتناسب طردياً مع ثقافة القارئ. "فالعربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال"[4]، " ويستطيع القارئ أن يُسقط على النص من تجاربه الذاتية التي

---

[1]) ابن منظور، اللسان، باب"وحى"، ج11، ص379

[2]) أنيس: إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، باب"وحى"

[3])الجاحظ ، البيان و التبيين، تح: حسن السندوسي، دار الفكر، بيروت، ج1، ص139-140

[4]) ضيف: شوقي، (د.ت)شوقي شاعر العصر الحديث، ط11، دار المعارف، بيروت، ص29

ترتبط بمعاييره وقيمه الخاصة، ويتحقق معنى النص للقارئ على هذا الأساس، في ضوء تلك التجارب والمعايير".[1]

يتفق الباحث مع شوقي ضيف ومع عبد العزيز حموده، في الربط بين اتساع العربية للمعاني وبين تجارب القارئ وقيمه الخاصة، وإذا كان النص العربي الذي يبدعه البشر قادراً على احتواء المعاني والأفكار، فإن كلام الله المنزل بلغة العرب على النبي العربي محمد– صلى الله عليه و سلم– أكثر اتساعاً للصور والمعاني والأفكار.

روي أنه لما نزلت سورة النصر((إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا))[2].

"وقرأها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على أصحابه استبشروا، وبكى العباس، فقال صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عم؟ قال: نُعِيَتْ إليك نفسك، قال: إنها لكَما تقول. وقيل إن ابن عباس هو الذي قال ذلك"[3]، ولا غرابة في فهم ابن عبّاسٍ للمعنى الإيحائي في هذه السورة وهو الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم فقهه"[4].

إن الناظر في هذه السورة من كتاب الله العزيز لا يجد في ألفاظها ما يشير معناه إلى نعي رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، ولكنه المعنى الإيحائي الذي كشف عنه العباس أو ابنه عبد الله بن العباس– رضي الله عنهما– ولم يفطن لهذا المعنى كثير من الصحابة، فعند سماعهم لهذه السورة، استبشروا بها وفهم بعضهم معناها على "أن الله أمر نبيه إذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب إليه"، وهذا المعنى صحيح لا تشوبه شائبة، لكنه ليس المعنى الوحيد للسورة، وإنما فهم منها بعض الصحابة ومنهم: ابن عباس وعمر بن الخطاب– رضي الله عنهما– أنها نعيٌّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهذا هو المعنى الإيحائي للسورة، ويؤيد هذا المعنى ما جاء عن رسول الله– صلى الله

---

[1])حموده: عبد العزيز، (2003)الخروج من التيه،نظرية التلقي، عالم المعرفة، العدد"298" ، ص138

[2])سورة النصر،آية: 1–3

[3])الزمخشري، الكشاف، ج4، ص294

[4]) البخاري، الحديث رقم(143)، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء.

عليه وسلم- "أنه دعا فاطمة- رضي الله عنها- فقال: يا بنتاه إنه نُعِيَتْ إليّ نفسي، فبكت، فقال: لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقاً بي"[1]. وتحقق ما أخبر به رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. فهو الذي لا ينطق عن الهوى. قال تعالى: ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ))[2].

ولقد عرف البلاغيون تعدد المعاني في الجملة الأدبية، وأسماه بعضهم: "التضمين" فقال: " وأما التضمين في الجملة الأدبية فهو: معنى أو مجموعة معان إضافية تلتصق بالمعنى التعييني، وهو خاصيّة من شأنها إعطاء الجملة الأدبية طابع تعدد المعنى."[3] وإذا كان المعنى هو: "حصيلة تفاعل القارئ مع علم النص المفتوح شريطة أن يكون القارئ مؤهلاً لأن يقرأ النص."[4] فإن المتدبر لقصص القرآن الكريم يجد فيها من المعاني الإيحائية ما يحقق غاية النص القرآني، وهي هداية الخلق وبيان سبل نجاتهم من سخط الله بكل عبارة يمكن أن يعيها الإنسان المكلّف على اختلاف قدراته العقلية، فالتكليف منسجم مع القدرة. قال تعالى: ((لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا)).[5]

والمعاني المتعددة في النص لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال استحضار القارئ لخبراته السابقة، وإطلاق العنان لخياله، " فإنتاج معنى النصوص الأدبية يستلزم الكشف

---

[1]) مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(204-261هـ)، (1999)صحيح مسلم، ط1، تحقيق: محمد بن نزار تميم وهيثم تميم، باب: فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص1289.

[2]) سورة النجم، آية:3-4

[3]) ايمانويل فريس و برنار موراليس،(2004) الاتصال الأدبي، ترجمة: لطيف زيتوني، قضايا أدبية عامة، عالم المعرفة، العدد(300) ، ص 49-50

[4])بحيري: سعيد حسن، (1997) علم لغة النص،نشر: لونجيمان، القاهرة، ص184، والرباعي، المعنى الشعري و جماليات التلقي، ص26

[5]) سورة البقرة، آية:286

عن اللامصوغ الذي يمكن أن يضطلع به خيال القارئ الفعّال."[1] وقد عنيت النظرية الظاهراتية في الأدب، بالتركيز على استجابة القارئ وتفاعله مع النص، فهي تؤكد على فكرة مفادها: "على من يدرس عملاً أدبياً ألاّ يُعنى بالنص الفعلي فحسب، بل عليه أن يُعنى أيضاً وبدرجة مساوية بالأفعال التي تتضمنها الاستجابة لذلك النص، فالعمل يتعدى كونه مجرّد نص، لأن النص يستمد حياته من كونه مدركاً."[2] والله تعالى لا يظلم الناس مثقال ذرة، فقد خلقهم في أحسن تقويم، قال تعالى: ((لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ))[3]. وجعل القرآن كلاماً عربياً ميسراً، قال تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ))،[4] وأنزله على نبي عربي من أشرف العرب. قال تعالى: ((لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ))،[5] وفي قراءة:((من أنفَسكم))، وجعل القرآن ميسراً على لسانه، فقال: ((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا)).[6] كل ذلك وغيره كثير، يشير إلى احترام الخالق منزل القرآن، لعبده الإنسان المتلقي بعد أن علّمه البيان، قال تعالى: ((ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ)).[7]

إن احترام عقل المتلقي الذي أشار إليه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ونيّف، تنبّه إليه نقّاد الغرب في العصر الحديث، يقول "لورنس شتيرن" إن على مؤلف النص

---

[1]) تومبكتر: جين ب ، (1999)نقد استجابة القارئ، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، ترجمة: ناظم و علي حاكم، مراجعة و تقديم: محمد جواد حسن الموسوي، المشروع القومي للترجمة، بغداد،ص 139

[2]) تومبكتر، نقد استجابة القارئ ، ص113

[3]) سورة التين، آية:4

[4]) سورة القمر، آية:17

[5]) سورة التوبة، آية:128

[6]) سورة مريم، آية:97

[7]) سورة الرحمن، آية:1-4

احترام القارئ، "فالاحترام الحقيقي الذي تمنحه لفهم القارئ هو أن تشاطره هذا الموضوع وديّا، وأن تترك له شيئاً ما يتخيّله حسب مزاجه."[1] ويقول فولغجانج إيسر: "إن تصور (شتيرن) للنص الأدبي هو أنه شيء يشبه الميدان الذي يشترك فيه المؤلف والقارئ في لعبة التخيّل، فإذا ما قدّمت القصة للقارئ بتمامها بحيث لا يترك له شيء آخر يفعله، فإن تخيله لن يلج الميدان أبداً، وستكون النتيجة الملل الذي ينشأ حتماً عندما يعرض أمامنا كل شيء متجزئاً وجافاً."[2]

وحاشا كلام الله العزيز أن يتطرق لقارئه الملل أو أن يصل متدبره إلى نهاية، وهو ميسر لمن يسّره الله عليه. جاء عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال:((القرآن ذلول ذو وجوه محتملة، فاحملوه على أحسن وجوهه)).[3]

وانطلاقاً من هذا الفهم لأسلوب بناء المعاني، فقد تتبّعت السرد القصصي القرآني وتلمّست فيه معاني إيحائيّة، أبينها فيما يأتي:

2.4 المعاني الإيحائية في قصة يوسف عليه السلام:

أ. **الإيحاء باستخدام الشفرة كوسيلة من وسائل الاتصال:** والشفرة وسيلة من وسائل الاتصال التي تمكن المرسل من إصدار رسالة يفهمها المرسل إليه. وتفترض عمليتا وضع الشفرة وفكها أن يكون لطرفي الاتصال معرفة كافية بالشفرة نفسها، ضماناً لفعالية الرسائل المنقولة.[4] والشفرة التي وردت في قصة يوسف- عليه السلام- وردت في ثلاثة مواقع:

---

[1])فولغجانج إيسر، عملية القراءة، مقترن ظاهراتي، نقد استجابة القارئ، ص114

[2]) فولغجانج إيسر، عملية القراءة، مقترن ظاهراتي، نقد استجابة القارئ ، ص114

[3]) الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدن(ت975هـ)، (1993)كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه الشيخ بكري حيّاني والشيخ مسعود السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت،ج1، ص551.

[4])إيمانويل وبرنار، (2004)الاتصال الأدبي، آفاق جديدة في نظرية الأدب، عالم المعرفة، العدد(300)، ص46.

الموقع الأول: قال تعالى: ((إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ))[1].

في هذا السرد القصصي أخبر يوسف أباه بأنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له، ولأن فعل السجود ليس من الأفعال التي يمكن أن تصدر في العادة عن غير الإنسان، فهم يعقوب– عليه السلام– هذه الرسالة، وأدرك ما يترتب عليها من مخاطر، وما ورد فيها من أخبار المستقبل الخاص بيوسف وإخوته وأبويه. وكان فهمه لهذه الشفرة قد أوصله إلى أن يوسف سوف يسود إخوته وأهل بيته، وأنه سيكون مخصوصاً بالنعمة من ربه، فيتم عليه النعمة ويعلمه من تأويل الأحاديث.

وهذه المكانة الرفيعة التي تنتظر هذا الغلام الصغير، الذي يعيش في بيت فيه أبناء ضرائر، سيتعرض لكيد إخوته إن علموا بما سيكون له من فضل عليهم. وانطلاقاً من فهم هذه الشفرة، أمر يعقوب ابنه يوسف أن لا يقصص رؤياه على إخوته مخافة أن يفهموا معناها ويحصل منهم الكيد لأخيهم. وتضمن نهي يعقوب ليوسف عن إخبار إخوته برؤياه معنى خفياً أوحى به النص، وهو ما يمكن أن يسمى: الاختصاص في الاطلاع على المعلومات.

لقد طبق يوسف هذا المبدأ، وأطلع أباه على رؤياه، فتعامل الأب مع المعلومات بحسب خطورتها، وأمر بكتمانها، وهذا المبدأ ((الاختصاص)) تطبقه جميع المؤسسات والأجهزة التي تتعامل مع المعلومات التي لها الخصوصية.

الموقع الثاني: وردت الشفرة في رؤيا السجينين اللذين شاركا يوسف السجن بعد تعرضه لكيد امرأة عزيز مصر. قال تعالى: ((وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ

---

[1]) سورة يوسف، آية:4–6

أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)).[1]

لقد حملت رؤيا السجينين رسالة مشفّرة، وفهم يوسف هذه الرسالة، وبين المقصود منها. قال تعالى:((يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ)).[2] فهم يوسف هذه الشفرة وفك رموزها مع أن النص الظاهر لم يتضمن في المعاني المعجمية لألفاظه ما يشير إلى معانيه الإيحائية المشفّرة.

الموقع الثالث: جاء السرد مشفّراً في قوله تعالى:((وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ)).[3] في هذا المقطع القصصي وقع الترميز والتشفير، حيث جاء لفظ ((البقرات السمان)) ليرمز إلى سبع سنين يحصل فيها الخصب و تكثر الغلال، وجاء التعبير عن سنوات القحط مرموزاً له بالبقرات العجاف، وكذلك رمز النص لسنوات الخير بالسنبلات الخضر، وإلى سنوات القحط بالسنبلات اليابسات.

وفي هذا السياق القصصي أدرك يوسف– عليه السلام– معنى إيحائياً، وبناءً عليه رسم خطة للتعامل مع كارثة اقتصادية ناجمة عن القحط ونقص الثمرات، وتلخصت الخطة حسب السياق القصصي بما يلي:

1. استغلال سنوات الخصب وبذل كل جهد ممكن لزراعة الأرض واستثمارها على أكمل وجه، وقد عبّر عن هذا قوله تعالى:((تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا)).[4]

---

[1]) سورة يوسف، آية:36

[2]) سورة يوسف، آية:41

[3]) سورة يوسف، آية:43

[4])سورة يوسف، آية:47

2. تخزين الغلال وحفظها من التلف. قال تعالى:((فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ)).[1]

3. التوزيع المنظم للغلال في سنوات القحط، إذ كان يوسف- عليه السلام- يعطي كل رجل يفد إليه حمل بعير. يتضح ذلك من حديث أبناء يعقوب لأبيهم، حيث طلبوا منه اصطحاب أخيهم بنيامين، نزولاً عند طلب يوسف، الذي منعهم الكيل حتى يحضروا أخاهم من أبيهم، "والمقصود بنيامين" وقالوا بأن ذلك يزيدهم كيل بعير، وهذا معناه أن زيادة الشخص في العير تعني زيادة الكيل، أي أن الإنفاق كان له نظام مرتبط بعدد الرجال الذين يطلبون الميرة.

لقد استطاع يوسف- عليه السلام- أن يجتاز سنيّ الكارثة التي حلّت بمصر، من خلال خطته هذه والتي استوحاها من رؤيا ملك مصر الذي وثق به واستخلصه لنفسه وجعله على خزائن الأرض، فاستثمر أيام الخصب وجعلها عدّته لمواجهة كارثة القحط وأيام الشدّة.

ب) **إيحائيّة المتاع:** ومن المعاني الإيحائية في قصة يوسف- عليه السلام- ما أوحى السرد فيه إلى رمزية المتاع ودلالته، فقد كان لقميص يوسف- عليه السلام- دلالات متعددة حسب السياق الذي ذكر فيه. أما السياق الأول فقد جاء في قوله تعالى:((وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ)).[2] وكانت الدلالة والمعنى الإيحائي الذي فهمه يعقوب- عليه السلام- من كون قميص يوسف سليماً لم يتعرض للتمزق المفروض في حال تعرّض صاحبه لاعتداء ذئب، وأن الدم الذي عليه لم يكن دم الضحية، وإنما كان مكذوباً، فقد توصل يعقوب بدقّة ملاحظته وفطنته إلى أن سلامة القميص تعني سلامة صاحبه من غدر الذئب، وأن في الأمر غموض عبّر عنه

[1]) سورة يوسف، آية:47

[2]) سورة يوسف، آية:18

السياق بقوله تعالى:((بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ)).[1]

وأما المعنى الثاني الذي أوحى به القميص، فقد جاء به سياق قوله تعالى: ((وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ)).[2] في هذا السياق من القصة ورد ذكر القميص أربع مرات، وأفاد موقعه السياقي معنى إيحائياً هو: بيان براءة يوسف من إرادة السوء بامرأة العزيز، حيث القدّ من الدبر يشير إلى أن يوسف كان في حال إدبار عن الفاحشة ولم يكن في حال إقبال عليها.

وأما الموقع الثالث لذي جاء السياق فيه على ذكر القميص، فقد أوحى بدلالة أخرى. قال تعالى:((ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا)).[3] في هذا السياق أوحى القميص بالبشرى وتحقق الأمل بكون يوسف حيّاً يرزق، وتحقق الأمل الآخر الذي أخفاه يعقوب عن أبنائه. قال تعالى:((قَالَ

---

[1]) سورة يوسف، آية:18

[2]) سورة يوسف، آية:25-28

[3]) سورة يوسف، آية:93-96

أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)).[1] لقد تحقق المعنى الذي استوحاه يعقوب من رؤيا ولده يوسف يوم أن قال له:((وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ)).[2]

ج) **إيحائيّة السلوك:** عبّرت الأفعال التي ذكرت في قصة يوسف عن أهمية الحذر ومراعاة الإجراءات التي تحقق الأمن الشخصي، وأمن الأمتعة، وأمن المكلّف بجمع المعلومات، وأمن العمليات، ذلك لأن الأمن كلٌّ واحدٌ لا يتجزأ. أما أمن الأشخاص فقد أوحى به قوله تعالى:((وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ)).[3]جاءت هذه الآية بعد أن أخبر السرد بأن ملك مصر جعل يوسف على خزائن الأرض، وأن إخوة يوسف جاءوا إليه يطلبون الميرة لأهلهم، فعرفهم وهم له منكرون، فأراد أن يدبّر أمراً، فطلب منهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم وإلاّ فلا كيل لهم عنده، قال تعالى:((فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ)).[4] واستغل يوسف غفلة إخوته عن بضاعتهم فجعلها في رحالهم، قال تعالى: ((وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ)).[5] "والمراد بالبضاعة هنا هي التي وصلوا بها من بلادهم ليشتروا بها الطعام، وقد فعل يوسف ذلك تفضلاً عليهم، وقيل: ليرجعوا إليه مرة أخرى لعلمه أنهم لا يقبلون الطعام إلاّ بثمن".[6] وجعل يوسف بضاعة إخوته في

---

[1]) سورة يوسف، آية :96

[2]) سورة يوسف، آية:6

[3]) سورة يوسف، آية:67

[4]) سورة يوسف، آية:60

[5]) سورة يوسف، آية:62

[6]) الشوكاني، فتح القدير ،ج3، ص38

رحالهم دون علمهم، يدل على ذلك قوله تعالى:((لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ))، فمعرفتهم بالأمر لن تكون إلاّ عند انقلابهم لأهلهم. وفي هذا إشارة إلى غفلتهم عن أمتعتهم وبضاعتهم عند تعبئتها من قبل رجال يوسف- عليه السلام-، وكان نجاح رجال يوسف في هذه المهمة، قد أغراهم بتكرار مثلها فيما بعد، وهو وضع الصواع في رحل أحدهم لتنفيذ مكيدة.

ولما عاد إخوة يوسف لأبيهم وأخبروه خبر الموكّل بخزائن ملك مصر، وطلبوا اصطحاب أخيهم من أبيهم- والذي جاء في التفسير أن اسمه بنيامين- "أخو يوسف لأبويه" وقيل أن أمهما " راحيل"[1]، خاف يعقوب على أمن ابنه بنيامين، ولذلك قال: ((قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)).[2] وكان ذلك الميثاق غاية ما يمكن أن يفعله يعقوب، ثم بعد ذلك أن يتوكل على الله الذي بيده الأمر كلّه.

وبعد أن أخذ يعقوب العهد من بنيه ألاّ يفرطوا بأخيهم، وجّه لهم تعليمات الأمن الشخصي، والتي أوحى بها في القصة قوله تعالى:((وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ)).[3] فدخول الأخوة من باب واحد يجعلهم صيداً سهلاً حال وجود عدوٍّ يتربص بهم. ولا بدّ أن يعقوب- عليه السلام- لم يطمئن لطلب مسؤول خزائن مصر (يوسف عليه السلام) من أبنائه، إحضار أخيهم من أبيهم كشرط لبيعهم حاجاتهم، لذلك قام بإرشاد أبنائه لأخذ الإجراءات الإحترازية. ونفّذ الأبناء تعليمات أبيهم، لكنّ المحذور الذي تنبّه له الأب واستوحاه من سياق القصة، وقع، حيث قال تعالى:((وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن

---

[1]) الشوكاني، فتح القدير ، ج3، ص7

[2]) سورة يوسف، آية:66

[3]) سورة يوسف، آية:67

شَيۡءٍ)).[1] فالحذر لا يمنع القدر، وعرف يوسف إخوته وآوى إليه أخاه بنيامين، وطمأنه وأخبره قائلاً:((إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ)).[2]

ويوحي سياق القصة أن يوسف- عليه السلام- أخبر أخاه أنه سينفذ مكيدة تكون في صالح أبويه وإخوته، وأن بنيامين سيكون له دور في هذه المكيدة، فعليه أن يكون مطمئناً لما يمكن أن يحصل له.

جاء في تفسير فتح القدير:"إن يوسف أنزل إخوته كل أثنين في منزل، فبقي أخوه بنيامين منفرداً، فضمّه إليه وقال له سرّاً: أنا أخوك يوسف، وقيل إنه لم يخبره بذلك وإنما قال له: أنا مكان أخيك يوسف فلا تحزن بما كنت تلقاه منهم من الجفاء، وقيل: إنه أخبره بما سيدبّره معهم من جعل السقاية في رحله".[3]

إن سياق القصة، وكلام المفسرين يوحي بأن سيدنا يوسف- عليه السلام- أجرى لقاءً سريّاً مع أخيه وأنه خطط لأمر حبسه عنده، ووافق ذلك رغبة بنيامين. ولتحقيق هذه الغاية قام رجال يوسف- عليه السلام- باختراق ((أمن الأمتعة)) الخاص بإخوته، حيث استغلوا غفلتهم عن أمتعتهم وقاموا بوضع الصواع في رحل أخيه. قال تعالى: ((فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ)).[4] وبعد أن انطلقت القافلة وهي تحمل الصواع دون علم إخوة يوسف- وربما دون علمهم جميعاً أو دون علمهم إلاّ بنيامين- أوحى السياق أن فقد الصواع حقيقة لا خداع فيها، وظهر ذلك من خلال قوله تعالى:((ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ)).[5]

ولمّا كان إخوة يوسف على يقين من البراءة من هذه التهمة، توجهوا إلى يوسف وأقبلوا عليه- وفي ذلك إشارة إلى سلوك لا ينسجم مع سلوك السارق الذي يهرب عندما

---

[1]) سورة يوسف، آية:68

[2]) سورة يوسف، آية:69

[3]) الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص42

[4]) سورة يوسف، آية:70

[5]) سورة يوسف، آية:70

يشعر بانكشاف أمره- أما ثقة إخوة يوسف وظنّهم بأنفسهم البراءة فقد دفعهم إلى الإقبال على الداعي ومناداته. قال تعالى: ((قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ)).[1] وليظهر أمر فقدان الصواع على صورة الحقيقة، قال رجال يوسف:((قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ)).[2] وهذا التعهّد بجعل جائزة لمن أتى بالصواع المفقود أوحى بأن الفقد حقيقة لا تدبير فيها. ويظهر سياق القصة أن يوسف-عليه السلام- أشرف بنفسه على إدارة هذه المكيدة، منذ بدايتها وحتى نهايتها، إذ اتفق مع رجال العير على إجراء التفتيش للبحث عن الصواع، وأن من وجد في رحله الصواع فهو جزاؤه.

وللحفاظ على أمن هذه العملية ولتبدو أحداثها حقيقية، بدأ التفتيش للأوعية البريئة، قال تعالى:((فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ)).[3] وبذلك صرف الأذهان عن احتمال التفكير بكون الأمر محض خدعة.

وقد يقول قائل: كيف يقوم نبي بخداع إخوته واتهام أحدهم بالسرقة وأخذه بها وهو لم يسرق حقيقة؟ والجواب على ذلك جاء في سياق القصة، قال تعالى:((كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ)).[4] فقد كانت هذه المكيدة تدبيراً من الله ألهمه يوسف- عليه السلام- واستوحى العلماء من هذه القصة حكماً مفاده: أن الكيد إذا كان لمصلحة الجماعة على حساب الفرد فذلك أمر جائز، وحكمه "حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية".[5]

وأما الإيحاء بالحرص على أمن المكلفين بجمع المعلومات، فقد أشار إليه سياق القصة في قوله تعالى:((يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ

---

[1]) سورة يوسف، آية:71

[2]) سورة يوسف، آية:72

[3]) سورة يوسف، آية:76

[4]) سورة يوسف، آية:76

[5]) الزمخشري، الكشاف،ج2، ص335

ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ)).[1]

هذا السياق القصصي يوحي بأن المكلّف بجمع المعلومات لا بد له من غطاء يمكنه من تأدية واجبه ويصرف نظر الخصم عن أهدافه.

لقد كلّف يعقوب بنيه للذهاب إلى أرض مصر لجمع المعلومات عن إخوتهم، وليس للتجارة، وليتمكنوا من القيام بهذه المهمة كان غطاء التجارة خير ما يناسب مهمتهم، ولكن الاتجار ببضاعة جيّدة سريعة التصريف لا يسمح لهم بالبقاء في أرض مصر مدّة كافية لجمع المعلومات، فكان لا بدّ من الاتجار ببضاعة (مزجاة)، والمزجاة: "المدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها".[2] وعدم رغبة التجار في هذه البضاعة يمكّن أصحابها من التجول في البلاد والبقاء مدة أطول وجمع معلومات أكثر عن هدفهم.

وذهب إخوة يوسف إلى بلاد مصر ببضاعتهم المزجاة، ولابد أنهم جمعوا من المعلومات ما أوصلهم إلى احتمال أن يكون القيّم على خزائن مصر هو أخوهم يوسف، يظهر ذلك من سياق القصة، إذ ذهبوا إلى يوسف واشتكوا حالهم بشيء من الانكسار والضعف رجاء عطفه عليهم. قال تعالى:((فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِىۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ)).[3]

---

[1]) سورة يوسف، آية:87-88

[2]) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص340

[3]) سورة يوسف، آية:88-90

والذي يشير إلى أن المعلومات التي جمعوها أوصلتهم إلى أن العزيز يمكن أن يكون يوسف، هو أنهم عندما سمعوا من العزيز ذكر يوسف قالوا بصيغة التوكيد: ((أإنك لأنت يوسف)). وتوصّلهم إلى هذه الحقيقة ما كان ليكون لولا احتيالهم للمكوث في مصر زمناً كافياً لجمع المعلومات وحرصهم على أمنهم وأمن مهمتهم التي تمت بنجاح، وكذلك كل مهمة تطبق فيها الإجراءات اللازمة بفنية وحذر، يتحقق فيها النجاح غالباً. والدروس المستوحاة من سورة يوسف لا يبلغ غايتها طالب علم، فإن أصبتُ فمن فضل الله وتوفيقه وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأسأل الله العفو والغفران.

د) **الإيحاء بمخاطر اعتماد المعلومات الظنيّة كأساس لاتخاذ القرارات:** ورد في قصة يوسف- عليه السلام- بعض المقاطع التي أشارت إلى وقوع أحداث كان الظن هو الدافع إليها، والأساس لاتخاذ القرارات فيها، وبيّن السرد القصصي أن الظن في بعض هذه المواقع، لم يكن له أساس من الحق، وأنه كان مطابقاً للحقيقة في مواقع أخرى. ففي قوله تعالى: ((لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ)).[1] بيّن هذا المقطع القصصي أن الرأي استقر عند إخوة يوسف على أن أباهم لم ينصف بينهم في حبه، وأنه لم يقسم حبه بين أبنائه حسب مقاييسهم، فهم يرون أن كثرتهم- أي الإخوة العشرة- وقوتهم التي تشكل سبباً للاعتزاز بهم، كافية لاستئثارهم بالقسط الأوفر من الحب، وأن يوسف وأخاه لا قوة لهما ولا مساهمة في خدمة الأسرة، وعليه فإن حقهما من حب أبيهما يجب أن يكون أقل من باقي إخوتهم، وقد كان موقف "العصبة" من أبناء يعقوب مبنياً على الوهم والظن الذي أسست له غيرة الضرائر.[2] إذ كانت أم يوسف وبنيامين قد" توفيت لمّا ولدت بنيامين".[3] فاجتمعت

---

[1]) يوسف، آية:7-8.

[2]) أمهات أبناء يعقوب هن: ليا، وراحيل، وزلفة، وبلهة، وراحيل أم يوسف وبنيامين، والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3، ص5.

[3]) أمهات أبناء يعقوب هن: ليا، وراحيل، وزلفة، وبلهة، وراحيل أم يوسف وبنيامين، والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج3،ص31.

إرادة أبناء الضرائر الأحياء على أبناء الضرة المتوفاه، ولم يكن ظن أبناء يعقوب إلا من وساوس الشيطان، وانعكاس لغيرة الضرائر، ولذلك كان من الظن الإثم، أي الذي يوقع في الإثم. وفي قوله تعالى: ((إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٌ)).[1] مجاز مرسل علاقته المسببيّة، فالظن تسبب بفعل ما يخالف الحق ويوقع في الخطأ، وهو من إخوة يوسف: التخطيط للخلاص من يوسف وتنفيذ الخطة والادعاء بغير الحق، "وقد اشتمل فعلهم هذا على جرائم كثيرة: قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد، والكذب على أبيهم".[2] وكل هذه الجرائم كان دافعها الظن السيء، إذ إن عدل الأنبياء لا يكون معه ظلم الأبناء، يقول الخازن في تفسيره:" غاب عنهم المقصود الأعظم، وهو أن يعقوب- عليه الصلاة والسلام- ما فضّل يوسف وأخاه على سائر إخوته إلا في المحبة المحضة، ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها"،[3] وهذه المحبة المحضة لا يترتب عليها انتقاص من حقوق باقي الأبناء، ولذلك فإن توهمهم حصول الضلال لأبيهم وتفضيله الصغير الذي لا يفيد في المعونة على أمور الدنيا والقيام بمصالح الأسرة، إنما كان دافعه الظن الذي أذكاه الشيطان بين الإخوة فنزغ بينهم.

لقد حذّر يعقوب بنيه من كيد الشيطان، قال تعالى:((قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ)).[4] وكشف يوسف أن الذي حصل بينه وبين إخوته إنما كان من فعل الشيطان، قال تعالى:((وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ)).[5] وكشف سياق القصة عن اعتراف الإخوة بالخطأ الذي حصل منهم، فقد أخطأوا عندما احتكموا إلى الظن وتوهم

---

[1]) سورة الحجرات، آية:12

[2]) الخازن، لباب التأويل،ج3،ص7

[3]) الخازن، لباب التأويل ،ج3،ص6

[4]) سورة يوسف، آية:5

[5]) سورة يوسف، آية:100

الضلال من أبيهم، وأخطأوا عندما ظنّوا أن الخلاص من يوسف يحقق لهم الحظوة عند أبيهم، قال تعالى:((ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ)).[1] وجاء اعترافهم بالخطأ عند لقائهم يوسف، قال تعالى:((قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ)).[2] وتكرر اعترافهم بالخطأ عندما عادوا إلى أبيهم بعد العثور على يوسف. قال تعالى:((قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ)).[3]

وكما جانب ظنهم الصواب إذ ظنوا بأبيهم غير الحق؛ جانب ظن أبيهم الصواب إذ ظن بهم غير الحق عندما عادوا إليه وأخبروه أن "بنيامين" سرق، فرد عليهم بقوله: ((قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا)).[4] والحقيقة أنهم في هذه المرة ما قالوا إلا الصدق، ولكن أباهم قاس على ما سبق أن حصل منهم عند فقد يوسف، فظن بهم غير الحق، مع أن ظنه كان صادقاً عندما ظن بهم مجانبة الصواب إذ أخبروه بأن الذئب أكل يوسف. وكان ظنه بهم كان صادقاً عندما ظن بهم الصلاح والتوبة بعد فقد بنيامين، حيث أوكل إليهم مهمة التحسس وجمع المعلومات عن إخوتهم، فقاموا بالمهمة خير قيام وأوصلهم بحثهم إلى يوسف وأخيه. قال تعالى:((يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ)).[5] وصدق ظنهم بربهم الذي يقبل التوبة عن عباده، فاعترافهم بالخطأ وطلبهم المغفرة أوصلهم إلى الأمن.قال تعالى:((فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ)).[6] هذه المقاطع السرديّة في قصة يوسف، أوحت بأن بعض الظن وهم

---

[1]) سورة يوسف، آية:9

[2]) سورة يوسف، آية:91

[3]) سورة يوسف، آية:97

[4]) سورة يوسف، آية:83

[5]) سورة يوسف، آية:87

[6]) سورة يوسف، آية:99

ووساوس شيطان، وهو يؤدي بصاحبه إلى ارتكاب المحرمات، كما حصل مع إخوة يوسف إذ ألقوه في الجب، وبعضه حسن يدفع إلى بذل المزيد من الجهد في الوصول إلى الحقيقة، فظن يعقوب بأن رواية أبنائه عن فقد يوسف غير صحيحة دفعته لمواصلة التذكير بيوسف وحث إخوته على البحث عنه حتى عثروا عليه، وصدق الله العظيم إذ قال:((إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ)). وهذا السياق يوحي أن بعض الظن لا إثم فيه، وهو الظن الحسن الذي يحفز الهمة للوصول إلى الحق والخير.

3.4 المعاني الإيحائية في قصة موسى مع الخضر–عليهما لسلام–:

روت سورة الكهف قصة موسى مع الخضر–عليهما السلام– حيث قال تعالى:((وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ

جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا)).[1] وجاء في خبر هذه القصة عن ابن عباس عن أُبي بن كعب أنه سمع رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يقول: "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مِكتل[2]، فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل، فخرج منه فسقط في البحر، واتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق[3]، فلما استيقظا نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغد، قال موسى لفتاه:((ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا

---

[1]) سورة الكهف، آية:60–82

[2]) مِكتل: وعاء يشبه الحقيبة.

[3]) الطاق: النَفَقْ

هَـٰذَا نَصَبًا))، قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه:((أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ))، قال فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجّى بثوب، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علّمت رشدا.[1]

وأوردت آيات سورة الكهف سالفة الذكر ما جرى بين موسى والخضر وما لقيا في رحلتهما العلمية.

أمّا ما أمكنني الله من الوقوف عليه من المعاني الإيحائية في هذه القصة فهي كما يلي:

1. إن علم المخلوق محدود، وهو مكتسب من علم الله، وعدم إحاطة علم المخلوق بوجود شيء، لا يعني عدم وجوده. فهذا موسى–عليه السلام– لمّا سئل: أي الناس أعلم؟ قال:أنا، ولم يكن يعلم أن أحداً من الناس أعلم منه، مع أن ذلك الشخص موجود وهو الخضر–عليه السلام–. وقد كشف الله لموسى أن علمه محدود وأن في الناس من أعطاه الله علماً لم يعطه موسى.
2. إن طلب العلم فضيله يسعى إليها الأنبياء، وباقي الخلق إليها أحوج، فهذا موسى–عليه السلام– يتكبّد مشقة السفر ويتعهّد بالبحث عمّن يزيده علماً، ولو طال زمن البحث حقباً. "والحُقْبُ: المدّة الطويلة من الدهر، ثمانون سنة أو أكثر".[2] وما إلزام موسى نفسه بالبحث عن مصدر العلم إلاّ تعظيماً لشأن العلم، واستصغاراً لكل ما يعترض سبيل تحصيله، وحفزاً لكل متعلّم لمواصلة طلب الزيادة، وعدم الإكتفاء بما عنده حتى لو كان علمه علم نبي مثل موسى كليم الله.
3. أوحت القصة بأن على المتعلّم التلطف مع أستاذه، فحسن السؤال أدعى للحصول على أوفى الجواب، وما أجمل ما استهلّ به موسى–عليه السلام–! حيث توجه إلى العبد

---

[1]) البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت،ج3، ص153

[2]) أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ، ج1،ص187

الصالح مستخدماً صيغة الإستفهام بالحرف "هل" والسؤال بـــ"هل" هنا "سؤال تلطف لا على وجه الإلزام والإجبار".[1] قال تعالى:((قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا)).[2] لقد راعى موسى في سؤاله "غاية التواضع والأدب، فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً للعبد الصالح، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليمه بعض ما أنعم الله عليه".[3] إن هذا التلطف في الطلب، وهذا التأدب الجم من نبي الله موسى مع العبد الصالح الذي هو أعلم منه، يوحي بأن على كل طالب علم أن يخفض الجناح لمن له فضل العلم، وأن يبالغ في التأدب مع أساتذته، ذلك لأن العلم مقياس للتفاضل بين الناس. وصدق الله تعالى إذ يقول: ((قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ)).[4] والتقدير: لا يستوون، وقال تعالى: ((يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ)).[5] وقد جسّد سيدنا موسى–عليه السلام– إيمانه بفضل أهل العلم من خلال ما جاءت به قصته مع الخضر–عليه السلام–. وفي أنبياء الله خير قدوة لأولي الألباب.

4. أوحت القصة بأن طلب العلم ثقيل على النفس، ولا بد لنيل العلم من الصبر والطاعة، كما أن التعليم فيه مكابدة ومشقة، ولا بد للمعلّم من التحلي بالصبر على تلاميذه، وهذه المعاني أوحى بها قوله تعالى حكاية عن الخضر، ثم عن موسى– عليهما السلام–: ((قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا)).[6]

---

[1]) ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم، بيروت، ج2، ص428

[2]) سورة الكهف، آية:66

[3]) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج1، ص18

[4]) سورة الزمر، آية:9

[5]) سورة المجادلة، آية:11

[6]) سورة الكهف، آية:67–69

لقد نفى الخضر-عليه السلام- وأكّد نفيه بأن موسى لا طاقة له بالصبر على ما سيراه من أمور تخالف ما أحاط به علمه، والتمس الخضر العذر لموسى حيث قال:((وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا))."أي وكيف تصبر وأنت نبي على ما أتولّى من أمور ظواهرها مناكير، وبواطنها لم يحط بها خبرك".[1] ولمّا كانت النفس نزّاعة لمعرفة كل جديد، أصرّ موسى على طلب العلم، واستعان بالله على مكابدة مشقة الصبر، ثم تعهّد بالطاعة، لأن الطاعة عنصر أساسي لا بد للمتعلّم من الالتزام به.

5.جاء في الحديث الشريف: "إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم بما يصنع".[2] وهذا ما أوحت به قصة سيدنا موسى ورحلته في طلب العلم، فقد سار سيدنا موسى ومعه فتاه زمناً، ولم يشعرا بالتعب أو الجوع خلال رحلتهما لملاقاة الخضر وتلقي العلم منه، ولمّا جاوزا مكان لقائه وأخذا يبتعدان عن بداية رحلة العلم شعرا بالتعب والجوع، وفي هذا إيحاء بأن طالب العلم ييسر الله له ما يعينه على تحقيق غايته، ويبعث فيه من القوة والجلد ما لا يجده الباحث عن الدنيا ومتاعها.

جاء في تفسير الكشاف: "أُلقي على موسى النَّصبُ والجوع حين جاوز الموعد، ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك، فتذكر الحوت وطلبه"[3]، كما جاء في كتاب الإنصاف: "إن موسى لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا إلاّ منذ جاوز الموضع الذي حدده الله له، ولعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع: أن يتيقظ موسى-عليه السلام- لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم، بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحّت له نية في عبادة من العبادات، وموقع الإيحاء: أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته له بوناً بيّناً".[4]

---

[1]) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج2،ص18

[2])أبو داوود: سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم،ص403، والنووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ،ص488

[3])الزمخشري، الكشاف، ج2،ص491

[4]) الإسكندري: أحمد بن محمد بن المنير، (1966)كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، حاشية الكشاف للزمخشري،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج2، ص491

6. يؤخذ العلم بالإرادة والرغبة، ولا يؤخذ بالإكراه، وهذا المعنى أوحى به سياق قصة موسى مع الخضر –عليهما السلام–، حيث جاء الكلام على لسان الخضر، قال تعالى: ((قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا))، فالشرط الذي اشترطه الخضر بقوله"فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي" يفيد التخيير ولا يفيد الإلزام، والمعنى الذي أفاده هذا السياق هو أن طريق العلم لا بد أن يختاره الإنسان بإرادة ورغبة ليتمكن من الصبر على مشاقه، ولتتفاعل نفسه وجوارحه مع العلوم الجديدة التي يتلقاها.

وأفاد الكلام المنسوب إلى الخضر في هذه الآية معنى آخر، وهو: إن المتعلم محتاج إلى التأني فلا يستعجل أستاذه بطرح الأسئلة كلما خفيت عليه علّة من علل العلم الجديد الذي يتلقاه. وجاء في الفقه الإسلامي أن: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه. هذا مع العلم بأن ما روي على لسان الخضر في هذه الآية يفيد بأنه ما كان ليترك موسى في حيرة من أمره، وما يكون المعلّم أميناً على تلميذه إن لم يكشف له الغموض فيما يلقيه إليه من العلم، ويضعه على جادّة واضحة المعالم لا زيغ فيها.

وقد أشار الخضر إلى أن العلم الذي سيعطيه لموسى، سيكون بحاجة إلى توضيح، وأن ذلك التوضيح سيكون له وقت غير وقت حصول المعلومة، وتأجيل تفسير الوقائع إلى وقت متأخر عن وقت حصولها، يوحي بأن على المتعلّم أن يثق بشيخه وأستاذه سواءً عرف العلّة في حال التلقّي أو غمُضت عليه العلّة إلى حين؛ فقد يكون الغموض في وقته غاية كما الإبانة في وقتها غاية، وأكثر ما يكون هذا في الأمور العسكرية، فلو فتح الباب للشرح والتعليل لما يتلقاه الجند من قادتهم، لفسدت الأمور بذهاب وقتها، ولتجاوز الزمن غاية القيادات.

7. عندما حكت قصة موسى مع الخضر –عليهما السلام– عن التطبيق العملي لرحلة التعليم، أوحت برسالة تربوية للبشر، عالمهم ومتعلمهم، فالمتعلم مطالب ببذل الجهد لتطبيق ما التزم به لأستاذه، فإن لم يستطع فيجب عليه أن يحمّل نفسه المسؤولية ولا يلقي بها على غيره. فهذا سيدنا موسى عندما أخلّ بشرط التعلّم، وسأل عن خرق السفينة، نبهه الخضر، ولكن التنبيه كان مشفوعاً بالإعذار. قال تعالى على لسان

موسى:((قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا)).[1] ولم يأت الجواب من الخضر مفسراً للفعل، ولكنه جاء مذكراً بما اشترطه على موسى وهو عدم استعجال السؤال حتى يأتي وقت التعليل، قال تعالى:((قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا)).[2] وأدرك موسى أنه أخطأ، فاعتذر وحمّل نفسه المسؤولية، وطلب تيسير أمر التعليم عليه، قال تعالى:((قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا)).[3]
وهذا السلوك من موسى–عليه السلام– إيحاء وتوجيه لكل متعلم، فلا يتوانى عن الاعتذار إن أخطأ، ولا يتردد عن طلب التخفيف إن وجد من نفسه ضعفاً.

وأما الإيحاء للمعلمين هنا، فإنه توجيه لهم لقبول العذر ومراعاة قدرات الطلبة، ليتحقق الهدف العلمي.

ولمّا وقع موسى–عليه السلام– في الخطأ مرة أخرى فسأل الخضر واستنكر منه قتل الغلام، قال تعالى:((فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا)).[4] وجّه الخضر إليه تنبيهاً مشدداً، قال تعالى:((قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا)).[5] فاستخدم الاستفهام التقريري، وحرف التوكيد (إنّ) وضمير المخاطب (ك) مرتين، وذكّر بما سبق أن أوضحه لموسى "لن تستطيع معي صبرا"، كل ذلك يوحي بأن مكرر الخطأ بحاجة إلى إنذار مشدد، لعلّ في ذلك يكون صلاح أمره. ولم يكن السياق على لسان الخضر موحياً بإعطاء إرشادات وإصدار تعليمات دون أن يكون هو القدوة،فقد صبر على خطأ موسى رغم تكراره، وفي

---

[1]) سورة الكهف، آية:71
[2]) سورة الكهف، آية:72
[3]) سورة الكهف، آية:73
[4]) سورة الكهف، آية:74
[5]) سورة الكهف، آية:75

ذلك فليكن الاقتداء، لأن طريق العلم محتاج إلى كل ذلك الصبر الذي فاق قدرة نبي الله موسى–عليه السلام–.

ولمّا كرر موسى الخطأ للمرة الثانية لم يمنعه اعترافه بالخطأ في المرة الأولى من تكرار الاعتراف به في الثانية، ولم يمنعه من الاعتذار أيضاً، فالمتعلم ما جاء إلى ساحة التعلّم لولا نقص علمه، وما دفعه لمكابدة مشاق التعلّم إلاّ رغبته في الاستزادة من العلم، ولذلك لا بأس في اعترافه بالخطأ واعتذاره عنه، ولمّا كانت رسالة التعليم على ما هي عليه من الجلال والسمو، اتسع صدر الخضر فقبل اعتذار موسى للمرة الثانية، ولكن موسى–عليه السلام– وهو نبي مرسل إلى بني إسرائيل يعرف أن التوبة عن الخطأ تعني العزم على عدم تكراره، ولمّا لم يجد من نفسه القدرة على الصبر الذي تعهّد به، جعل اعتذاره على صيغة غير مباشرة، فقال:((قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا)).[1] وهذا الاعتذار وما فيه من إلقاء مسؤولية التقصير على النفس دون سواها، إيحاء بأن الشجاعة في العلم توجب الاعتراف بالقدرات الشخصية للمتعلم، فلا ينكر من نفسه الضعف إن وجد فيها ذلك، ولكن لا بد من الإصرار على التعلم وبذل أقصى الجهد.

ويشير سياق القصة إلى قبول الخضر عذر موسى–عليهما السلام– مع علمه أن صبر موسى لن يطيق هذا النوع من العلم، فالعلوم أصناف مختلفة، ولكل نفس ما يناسبها، كما أن الله أعطى كل مخلوق ما يناسب الغاية التي خلق من أجلها، فأعطى لموسى العلم الشرعي وأعطى الخضر العلم اللدنّي، قال تعالى:((وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)).[2] واتضح من سياق القصة الفرق بين العلم الشرعي والعلم اللدنّي، ولذلك لم يتيسر لموسى الصبر على علم الخضر–عليهما السلام–، وقد أوحت القصة لموسى–عليه السلام– أن علمه محدود، وأن لفظة "العلم" على إطلاقها لا يحيط بمعناها إلاّ الله العليم العالم العلاّم. كما وتوحي هذه القصة بأن الكون سفر حافل بصنوف المعرفة، وأن

---

[1]) سورة الكهف، آية:76

[2]) سورة الكهف، آية:65

الإنسان لم يعط من العلم إلاّ القليل، قال تعالى:((وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا)).[1] وقد انكشفت هذه الحقيقة لموسى-عليه السلام- بعد أن بيّن له الخضر علّة قيامه بما استنكره منه، وأخبره أنه إنما قام بتلك الأفعال بأمر من الله، قال تعالى:((وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا)).[2] جاء في تفسير هذه الآية: "وما فعلت ما رأيت عن إجتهادي ورأيي، وإنما فعلته بأمر من الله".[3] وفي قول الخضر-عليه السلام-: ((وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي)) إيحاء بأن كل الأمور التي تقع من الإنسان، إنما تقع بإرادة من الله، فما أراد له أن يكون كان، وما أراد له أن لا يكون لم يكن، وما أراد أن يجعل الإنسان فيه مسيراً جعله، وما أراد أن يجعله فيه مخيراً جعله، ((لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ)).[4] ولا رادّ لقضائه إلا هو جلّ جلاله.

4.4 المعاني الإيحائية فيما روته سورة النمل من قصة سليمان بن داوود عليهما السلام:

روت بعض مقاطع من سورة النمل قصة نبي الله سليمان بن داوود-عليهما السلام-، حيث كان سليمان-عليه السلام- نبياً من أنبياء بني إسرائيل، وملكاً من ملوكهم، ورث النبوة والملك عن أبيه، قال تعالى:((وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمًاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ)).[5]

---

[1]) سورة الإسراء، آية:85

[2]) سورة الكهف، آية:82

[3]) الزمخشري، الكشاف، ج2،ص496

[4]) سورة الروم، آية:4

[5]) سورة النمل، آية:15-16

وتحدثت نصوص القصة في سورة النمل عن خبر إتيان سليمان وجنده من الجن والإنس والطير على وادي النمل، وعن خبر ملكة سبأ وما جرى بينها وبين سليمان.

أما خبر وادي النمل فقد قال تعالى فيه:((وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ)).[1]

وقد وردت في هذا الجانب من القصة معان إيحائية أشار إليها النص، ومنها:

1. أن سليمان–عليه السلام– كان قد وضع نظاماً لحركة الجند، فهم "يوزعون" أي: "يحبس أولهم على آخرهم، وتتوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلّف منهم أحد".[2] وهذا النظام يحقق للقائد عملية ضبط جنده، فكلما قطع مسافة من الطريق توقف وتفقد الجند ووقف على كل حال من أحوالهم. وهذا النظام يحقق كذلك التماسك بين مقدمة الجيش ومؤخرته، وبين ميمنته وميسرته فيظل الجيش فرقة واحدة، وبذلك تظهر قوته فلا يطمع طامع بقاصٍ منه أو دانٍ، وصدق رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إذ قال: ((فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)).[3] فالتفرّق يغري الأعداء ويضعف الشكيمة.
2. كما أن لسليمان أنظمة للتعامل مع جنده، فإن لمملكة النمل أنظمة للتعامل فيما بين أفرادها، والنص يوحي بأن مملكة النمل كانت تعتمد نظام المراقبة والاستشعار، فبعض أفراد مملكة النمل توكل إليه مهمة مراقبة الحدود والإبلاغ عن أي خطر يهدد

---

[1]) سورة النمل، آية:17–19

[2]) الزمخشري: الكشاف، ج3، ص141

[3])النووي:أبو زكريا يحيى بن شرف(ت671هـ)،(1973) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، باب فضل صلاة الجماعة،علق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي، بيروت، ص408

النمل، والمراقب في مملكة النمل يصدر الأوامر التي يرى أنها تحقق الأمن لجماعته، ولا يكتفي بالإبلاغ عن الخطر فقط. لقد شعرت النملة بخطر سليمان وجنده، ولم يكشف لنا النص كيف شعرت النملة بقدوم جيش سليمان، وعدم إشارة النص إلى وسيلتها في المراقبة يترك الباب مفتوحاً لتخيّل أي نوع من وسائل المراقبة، ويدفع الإنسان لاختيار الوسيلة الأنجع والأنسب.

وقد استخدمت النملة في الإبلاغ عن الخطر "ياء" النداء التي تستخدم لنداء البعيد، وخالي الذهن، واستخدمت المنادى مقروناً بحرف التنبيه فقالت "يا أيها" ثم ذكرت المنادى مرة أخرى "النمل" فكان بدلاً عن "أي" فكان هذا الأسلوب في النداء كافياً لتنبيه جماعتها لأهمية الأمر الذي ستخبر به، وبعد أن تحقق لها ذلك التنبيه أمرت النمل بدخول المساكن وعلّلت أمرها فقالت:((ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ))، وهذا النص يوحي بأهمية تحديد نوع الخطر الذي يشير إليه النذير ليسهل تلافيه، ولما كان الخطر الذي يهدد النمل هو الحطم من قبل جند سليمان، كان الحل هو التحصّن في المساكن، إذ لا سبيل لمواجهة مثل ذلك الخطر، وقد أوحى النص بأن التحصّن في المساكن هو وسيلة من وسائل الدفاع، يمكن للإنسان أن يستخدمها كما استخدمها النمل في النص.

ولم تغفل النملة "مسؤولة المراقبة" عن إرسال رسالة إلى سليمان وجنوده تطريهم فيها، وتخبرهم بأنها وقومها مسالمون، يرجون النجاة ولا يعتدون، فقالت:((لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))، فجملة "وهم لايشعرون" موجهة إلى سليمان وجنوده أكثر مما هي موجهة إلى النمل، ذلك أن سليمان عندما سمع قول النملة "فتبسم ضاحكاً من قولها"، أي: أنه أدرك غايتها من هذا القول، فقد أوحى قولها بأنها تعرف "رحمة سليمان ورحمة جنوده وشفقتهم واشتهارهم بالتقوى"[1]، وذلك يمنعهم من تعمّد الأذى، ولذلك جاء قولها "وهم لا يشعرون" أي: لو أنهم شعروا لم يفعلوا، وهذا النص يوحي بأن النمل الذي عرف سليمان منطقه، عرف هو الآخر خبر سليمان وعدله وعلمه

---

[1]) الزمخشري، الكشاف ، ج3،ص142

وحكمته. وكما عرف سليمان منطق الطير والوحش والحشرات والهوام والجن، عرفت هي منطقه وعلمت خبره، وتلك معجزة من الله تعالى جعلها لنبيه سليمان عليه السلام.

وقد دعا سليمان ربه أن يلزمه شكر نعمته عليه، إذ جعله عادلاً رحيماً وعلّمه ما علّمه من منطق الهوام فقال:((رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ))[1]، وفي هذا معنى إيحائي أيضاً وهو أن العبد –وأن كان نبياً– إنما يدخل زمرة الصالحين برحمة الله لا بعمله، فسليمان عليه السلام يقول:"وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" ولم يقل: بصالح عملي مثلاً.

وبعد الانتهاء من سرد خبر سليمان والنملة، انتقلت القصة إلى رواية خبر سليمان مع أحد جنوده وهو الهدهد، ومع ملكة سبأ "بلقيس بنت شراحيل"،[2] وبدأ السرد بالإيحاء إلى أن سليمان كان يستخدم نظاماً لضبط الحضور والغياب من جنده، على كثرتهم وتعدد أجناسهم، قال تعالى:((وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ)).[3] لقد غاب الهدهد دون إذن من قائده وسيّده سليمان، وعرف سليمان أن الهدهد غاب دون إذن، فتوعده بالعقوبة إن لم يكن لغيابه عذر واضح، قال تعالى:((لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ)).[4] وهذا النص يوحي بأن سليمان كان يعتمد نظاماً للعقوبات تختلف درجاتها حسب نوع المخالفات وأسبابها، فمن المخالفات ما يعاقب مرتكبها بالقتل ومنها ما يعاقب بالعذاب، ومنها ما يعفى صاحبها من العقوبة.

ونظام العقوبات هذا ضروري لسلامة البنية العسكرية والإدارية لأي جماعة إنسانية تحرص على أمنها الجماعي. وأوحى النص بأن نظام مراقبة الجند كان دقيقاً، إذ عرف

---

[1]) سورة النمل، آية: 19.

[2]) الزمخشري: الكشاف ،ج3، ص144

[3]) سورة النمل، آية:20

[4]) سورة النمل، آية:21

سليمان بغياب الهدهد رغم أن زمن غيابه كان قصيراً، قال تعالى:((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ)).
وعاد الهدهد إلى سربه وتوجه إلى سيّده ليبين له سبب غيابه، ويقدم له تقريراً غاية في البلاغة، قال تعالى:((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)).[1]

أوجز الهدهد مقدمة التقرير، فالأمر لا يحتمل التطويل، لأن الغياب كان دون إذن، ويترتب على ذلك إما العقوبة أو تقديم العذر، ولذلك استعجل الهدهد تقديم العذر موجزاً، وأشار إلى أهمية ما حققه ذلك الغياب في الشفاعة له عند سيده، لقد بدأ الهدهد بذكر نتائج غيابه ولم يبدأ بذكر أسباب غيابه، وذلك من باب التسريع برواية الأخبار حسب أهميتها، كما ويحسن بمقدمي التقارير التقديم لها بموجز وافٍ يغني المتلقي عن بعض التفاصيل، فإن رغب المتلقي بالاطلاع على التفاصيل، اطلع على المتن، ليجد فيه جواباً على كل سؤال يخطر بباله.

وقد تضمنت مقدمة التقرير ذكر المصدر، قال:" جئتك" فالمصدر هو الهدهد نفسه، وتضمنت المكان الذي يتعلق به التقرير:" من سبأ" والموضوع الذي يتحدث عنه التقرير:"بنبأ"، أي: معلومات، وصفة تلك المعلومات"يقين". ثم انتقل من المقدمة إلى المتن، قال تعالى:((إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ))، وهذه الصيغة الإخبارية أفادت بأن معلومات التقرير ليست تحليلية ولا ظنيّة، ولا منقولة عن الغير، وإنما هي معلومات مبنيّة على المشاهدة، فقوله:((إِنِّي وَجَدتُّ)) وصف لنفسه بالاتصال المباشر بالحدث الذي أخبر عنه، وبعد أن تحدث الهدهد عن مكان الحدث الذي أخبر عنه، تحدث عن نظام الحكم في تلك البلاد، وحدد جنس الملك، وبعض صفاته، قال تعالى:((إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً

[1]) سورة النمل، آية:22-24

تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ)).[1] ثم تحدث عن عقيدتها وعقيدة قومها، قال تعالى:((وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ)).[2] وبهذا ختم الهدهد تقريره.

ولما تلّقى سليمان هذا الخبر تعامل معه تعامل الحكيم فلم يصدقه ولم يكذبه، ولكن وضعه تحت التقييم للوصول إلى الحقيقة، وهذا السرد أوحى بما يحسن بصاحب القرار فعله عندما تصله معلومات جديدة لا يملك دليلاً على صحتها أو كذبها، ففي مثل هذه الحالة، على صاحب القرار إجراء تقييم للمعلومات قبل اتخاذ القرار بشأنها وما يترتب عليها، وذلك ما فعله سليمان–عليه السلام– إذ قال:((قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ)).[3] وقام سليمان بتقييم المعلومات حسب طريقته، إذ أرسل إلى ملكة سبأ كتاباً يدعوها فيه وقومها إلى الدخول تحت طاعته واتباع دينه، وكلّف الهدهد برصد رد فعل ملكة سبأ وقومها على ذلك الكتاب، قال تعالى:((ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ)).[4] وفي هذا إيحاء بأن مهمة الرسول لا تقتصر على إيصال الرسالة، بل تتعداها إلى رصد ردّ فعل المرسل إليه، ويؤيد هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى:((فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا)).[5] وجاء في تفسير هذه الآية: "يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم"،[6] وشهادة الرسل على أقوالهم لا بد أنها تخص ردود أفعالهم سواء آمنوا أو كفروا، وكما أوكل الله هذه المهمة إلى رسله، أوكل سليمان للهدهد هذه المهمة فقال: ((فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ)).

---

[1]) سورة النمل، آية:23

[2]) سورة النمل، آية:24

[3]) سورة النمل، آية:27

[4]) سورة النمل، آية:28

[5]) سورة النساء، آية:41

[6]) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج1، ص215

ومن المعاني الإيحائية فيما ورد من خبر ملكة سبأ وكيفية تعاملها مع كتاب سليمان- عليه السلام- إن تلك الملكة كانت تعتمد الشورى في حكمها، قال تعالى: ((قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ)).[1] هذا النص القرآني الذي يروي ردّ فعل الملكة على الرسالة، يوحي باعتمادها الشورى في اتخاذ قراراتها، فقد قرأت الكتاب على قومها، وجاء في الكشاف: "قيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، كل واحد على عشرة آلاف"،[2] ونظام الشورى الذي أوحت به هذه القصة يفيد بأن ولي الأمر يقوم بعرض القضية موضوع التشاور على مستشاريه ويستمع لرأيهم فيها، ثم يختص هو باتخاذ القرار، بعد أن يوازن بين رأيه وآرائهم، يتضح ذلك من رد المستشارين في القصة، قال تعالى: ((قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ)).[3] لقد فوّض المستشارون الملكة باتخاذ القرار، بعد أن أحاطوها علماً باستعدادهم لتنفيذ قرارها، فإن رأت اختيار طريق الحرب، فالعسكر أعلنوا جاهزيتهم، فهم أولو قوة -أي كثرة في العدد والعتاد- وهم على مستوى رفيع من القدرة على إيقاع الضرر بعدوهم، فهم ألو بأس شديد، وهذا الرد من مستشاري ملكة سبأ يوحي بأن واجب المؤسسة العسكرية في الدولة يجب أن يكون محصوراً في الانصراف للإعداد والاستعداد لمواجهة أي طارئ يهدد أمن الدولة، وأن تفوّض أمرها وتحصر قرارها فيما يأمرها به ولي الأمر، أي أن المؤسسة العسكرية هي مؤسسة تنفيذية ترتبط برأس الدولة ولا تقطع أمراً دون قرار منه، ولتستقيم أمور الدولة، لا بد أن تتخذ القرارات المهمة في الدولة بعد التشاور ما بين رأس الدولة وأهل الحل والعقد من شعبه، وبذلك تتحقق المشاركة في المغنم والمغرم، فلا يحصل الخلاف، وتتوزع المسؤولية على الحاكم

---

[1]) سورة النمل، آية:29-32

[2])الزمخشري: الكشاف، ج3، ص146

[3]) سورة النمل، آية:33

والمحكوم، وقد أوحت هذه القصة أيضاً بأن ولي الأمر غير ملزم بقرار أغلبية أو أقليّة، وإنما يقوم هو بدراسة الخيارات المطروحة والآراء المقدمة إليه، ثم يقرر ما يقتنع به هو، ويختار رأيه الذي يرى فيه مصلحة لعموم رعيته، وليس لخاصتهم، وما على المؤسسة العسكرية في الدولة إلا السمع والطاعة لأن اختصاصها محصور بتوفير القوة والبأس، والجاهزية لصد عدو أو كسب غنيمة. واختصاص القيادة برعاية تلك القوة، وتوفير وسائل استدامتها ونموها ثم توجيهها الوجهة التي تحقق للأمة غاياتها.

وقد استمعت ملكة سبأ إلى رأي مستشاريها، فقد ألمحوا لها بخيار الحرب من خلال قولهم:((قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ))، ولم يتجاوز المستشارون حدودهم ولم يحرجوا أنفسهم بالتصريح بأمر معين، ولكنهم سلكوا طريق الكياسة وحسن التصرف، فأعلنوا عن جاهزيتهم القتالية، وفوّضوا الأمر إليها، وهذا ما يجب أن تعمل به كل قيادة عسكرية وفيّة لقائدها.

ولم تتخذ الملكة قرارها دون تقديم تعليل لما ستفعله، فكما منحت ثقتها لمستشاريها قبل سماع رأيهم عندما قالت:((مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ))، احترمت رأيهم بعد أن سمعته، ولكنها أبدت أسباب الرغبة في عدم اللّجوء إلى الحرب، قال تعالى: ((قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ)).[1] لقد أظهرت حرصها على حضارة بلدها وكرامة أهلها، وسعت لتحقيق الأمن لمملكتها بالطرق السلمية تجنّباً لما تحدثه الحرب من دمار للممتلكات وإذلال لأهلها سواء بالقتل أو التشريد أو الأسر، وقد أوحى التذكير بعواقب الحرب، برغبة الملكة بالجنوح إلى السلم، وأشار سرد القصة إلى موافقة المستشارين لرأي الملكة، وإلى تنفيذ خطتها، حيث أرسلت إلى سليمان وفداً يحمل هدية، قال تعالى:((وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ)).[2] وهذا الرد من ملكة سبأ على كتاب سليمان وردت فيه إيحاءات كثيرة، فقد جاء في الروايات حول القصص القرآني:"إنها بعثت إليه خمسماية

---

[1]) سورة النمل، آية:34

[2]) سورة النمل، آية:35

غلام عليهم ثياب الجواري وحُليّهنّ الأساور والأطواق والقرطة، راكبي خيل مغشّاة بالديباج، محلاّة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر، وخمسماية جارية على رماك[1] في زي الغلمان، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وبعثت هذا مع رجلين من أشراف قومها هما: المنذر بن عمرو، وآخر ذي رأي وعقل، وقالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان، فهو ملك فلا يهولنّك، وإن رأيته بشّاً لطيفاً فهو نبي، وأقبل الهدهد فأخبر سليمان برد فعل الملكة على كتابه، فأمر سليمان الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه، وجعلوا حول الميدان حائطاً شُرُفه من الذهب والفضة، ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه، واصطفت الشياطين والإنس والوحوش والسباع والهوامّ والطيور صفوفاً بين يديه".[2]

هذه الرواية توحي بأن ملكة سبأ أرادت أن تستعرض أمام سليمان قوة ملكها وكثرة كنوزها، وأرادت الوقوف على حقائق كثيرة، منها: معرفة دوافع سليمان في السيطرة على ملكها، هل هي دنيوية أم هي دينية؟ فإن كان دافعه حب السيطرة والجاه والمال، أمكن محاربته، وإن كان نبياً فلا طاقة لها به، وقد اتضح ذلك بعد أن حضر وفد الملكة إلى سليمان فوجدوا أنه استعرض من القوة والكنوز ما يفوق ما لديها أضعافاً كثيرة، وأنه استقبلهم باشاً طلق الوجه، وردهم بهديتهم ولم يلتفت إلى ما فيها من الذهب والفضة، فظهر أن دافعه الدعوة إلى الله وليس تحقيق مكاسب شخصية. وقد عرفت الملكة منه ذلك عندما عاد إليها الوفد، وأخبروها خبرهم، فقالت:"هو نبي وما لنا به طاقة".[3]

وقد استفاد سليمان من معلومات الهدهد عن رد الفعل الذي حصل من الملكة على كتابه، فعرف أنها تريد اختبار علمه وسلطانه ودافعه للسيطرة على ملكها، وعرف وسائلها للوقوف على كل هذه المتطلبات، فأعدّ لذلك عدته، وسخر جنده من الجن والإنس والوحوش والسباع والطير والهوامّ، وأظهر لوفد الملكة ما لم يكن لهم بحسبان، سواء في مجال العلم أو الخُلُق أو القوة العسكرية، أو المادية، مع الإصرار على تحقيق الهدف،

---

[1]) رماك: جمع رمكة وهي الفرس

[2]) الزمخشري: الكشّاف، ج3،ص147

[3]) المصدر نفسه، ص147

وهو السيطرة على مملكة سبأ، إن أصر أهلها على الكفر، أما إن أسلموا فإنهم يعصمون منه أموالهم وأرواحهم وأعراضهم.

وقد أرسل سليمان لملكة سبأ رسالة ثانية ضمنها التهديد بالتشريد والإذلال، وهذا التهديد من سليمان كان مشروطاً بشرط لم تفصح عنه القصة صراحة ولكنه ظهر من السياق، وهو أن الإخراج والإذلال سيحل بأهل سبأ إن أصروا على الكفر.

وما تكليف سليمان أحد جنده لإحضار عرش تلك الملكة قبل إسلامها إلا دليل على أن إسلامها كان سيحول بينه وبين أن يغصب من ملكها شيئاً، ولذلك جاء قول سليمان: ((قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ)).[1] وفي قيام أحد جنود سليمان بإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ إليه قبل إسلامها إيحاء بإباحة ملّة سليمان الإغارة على ديار الحرب وأخذ الغنائم منها، إذا كان ذلك بإذن ولي الأمر، أما إذا كان بغير إذنه فذلك خروج على طاعته. ولم يكن إحضار سليمان لعرش ملكة سبأ طمعاً في امتلاكه، وإنما كان لغاية أخرى، وهي الإيحاء إليها بأن حصونها مهما بلغت من القوة والمنعة لا تحول دون وصوله إليها، فقد "روي أنها عندما توجهت إلى سليمان تركت عرشها خلفها وغلّقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس".[2] ووصول جند سليمان إلى عرشها رغم ما عليه من الحراسة يعني أن أولئك الجند قادرون على الوصول إليها وإحضارها أسيرة إلى سليمان، إن هي ناصبته العداء، فالذي يستطيع إحضار العرش المحصّن بالأبواب المغلّقة والحرس الشديد، قادر على إحضار من يجلس على ذلك العرش مهما بلغ تحصينه.

وأوحت القصة أن سليمان–عليه السلام– أراد أن يختبر عقل تلك الملكة ويتثبت من معلومات الهدهد حين قال:((وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ))، فجمال الخلقة ورجحان العقل بعض مما أوتيت حسب خبر الهدهد، وتحقق سليمان من ذلك إذ أمر جنده فنكروا لها عرشها. "قيل أراد أن يؤتى به ويغيّر ثم يُنظر أتثبته أم تنكره، اختباراً

---

[1]) سورة النمل، آية:38

[2]) الزمخشري: الكشاف ،ج3،ص150

لعقلها"،[1] فقد قيل "وسّعوه وجعلوا مَقدَمه مؤخره، وأعلاه أسفله"،[2] ولما حضرت إلى سليمان ورأت العرش، قال تعالى:((فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرۡشُكِۖ)).[3] لقد رأت العرش الذي حصل فيه بعض التنكير فكان جوابها:((قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ))، وهذا الجواب منها أوحى بأنها دقيقة الملاحظة، فالشبه بين عرشها والعرش الذي رأت عند سليمان قريب جداً، وقد استخدمت ملكة سبأ ضميرين في جملة التشبيه حين قالت: كأنه هو، وبذلك لم تمدح ولم تذم وإنما قصدت الإبانة والإيضاح، "فالتشبيه يأتي تارة في معرض المدح، وتارة في معرض الذم، وتارة في غير معرض مدح ولا ذم، وإنما يأتي قصداً للإبانة والإيضاح".[4] وبهذا الجواب ظهر أن الملكة على قدر كبير من الذكاء ودقة الملاحظة، فهي بقولها: "كأنه" لم تحدد المقصود بهذا الضمير أهو عرشها أم العرش المعروض أمامها، وبقولها:"هو" لم تحدد أيضاً أي العرشين مشبهاً وأيهما مشبهاً به، وكأنها بذلك ساوت بين العرشين في المنزلة، فلا هي فضّلت عرشها على العرش المفترض أن يكون لسليمان فأسخطته، ولا هي قللت من شأن عرشها. وفي إجابتها تعظيم للعرشين، لأن كل واحد منهما يمكن أن يكون مشبهاً أو مشبهاًبه، وهذا إيحاء بقدرتها على وزن الأمور بدقة، ولا يكون ذلك إلا لصاحب العقل الراجح. وأما اختبار سليمان لما ذكره الهدهد من جمال خلقة بلقيس، فقد روي "أنه –عليه السلام– أمر قبل قدومها، فبُني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وإجرى تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس"،[5] وهذا السياق يوحي بأن سليمان قصد إظهار العظمة وسعة السلطان وقوة الشكيمة، وذلك من باب الحرب النفسية. وعندما أرادت بلقيس دخول الصرح:((حَسِبَتۡهُ لُجَّةً وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا)).[6]

---

[1]) الزمخشري: الكشاف ، ج3، ص148

[2]) المصدر نفسه، ص149

[3]) سورة النمل، آية:42

[4]) ابن الأثير، المثل السائر ، ج1،ص38

[5]) الزمخشري:الكشاف ، ج3،ص150

[6]) سورة النمل، آية:44

وبذلك تحقق سليمان من صدق الهدهد حيث وجدها "أحسن الناس ساقاً".[1] وبذلك تم له التأكد من صدق الخبر الذي جاء به الهدهد وظهر أنه يقين كما وصفه.

وبفضل هذه المعلومات اليقينيّة التي جاء بها الهدهد، وبفضل شموليتها تمكن سليمان من وضع خطة للتغلب على تلك الملكة دون حرب، فقد أظهر لها من القوة والعلم وسعة السلطان، ما أقنعها بأن سليمان نبي من عند الله. وأنه على الحق الذي يجب أن يتّبع، فكان قرارها:((قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)).[2] وبذلك تحقق لسليمان غاية ما يتمناه وهو هدايتها إلى الإسلام وهدايتها إلى عبادة الله، بعد أن كانت تعبد الشمس وتسجد لها.

ولا يخفى أن هذه القصة أوحت بأن حرب العقول وحرب المعلومات لا تقل أثراً عن حرب الجيوش والمعدات، وأن الحجة والإقناع هي سلاح الدعاة إلى الله، ولهما الأولوية في حال توفر القوة العسكرية، فقد كان سليمان قادراً على استخدام قوته العسكرية لكنه سلك طريق الحجة فحقق هدفه بيسر وسهولة.

---

[1]) الزمخشري:الكشاف ، ج3،ص150

[2]) سورة النمل، آية:44

الفصل الخامس

ظاهرة النداء في القصة القرآنية وأثرها في بناء المعنى

1.5 النداء لغة واصطلاحاً:

النداء لغة: "أصل النداء تنبيه المدعو ليُقبل عليك"[1].

النداء اصطلاحاً:هو "طلب الإقبال بحرف نائب مناب الفعل (أدعو) لفظاً أو تقديراً، كأيا وهيا للبعيد، وقد ينزل غير البعيد منزل البعيد لكونه نائما أو ساهيا، حقيقة أو بالنسبة إلى الأمر الذي تناديه له، يعني: أنه بلغ من علوّ الشأن إلى حيث أن المخاطَبَ لا يفي بما هو حقه من السعي فيه، وإن بذل وسعه واستفرغ جهده، فكأنه غافل عنه بعيد. وأي والهمزة للقريب"[2].

2.5 حروف النداء: الحروف التي ننبه بها المدعو هي:[3] يا، أيا، هيا، أي، وألف الاستفهام، "وهذه ينبّه بها المدعو، إلا أن أربعة غير الألف يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، أو للإنسان المعرض، أو النائم المستثقل. ويجوز أن تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريبا مقبلا عليك توكيدا، وإن شئت حذفتهن كلّهن استغناءً"[4].

وكما تستعمل – يا – لنداء البعيد "تستعمل لنداء القريب إما لاستقصار الداعي نفسه واستبعاده عن مرتبة المدعو، نحو: يا الله، وإما للتنبيه على عِظم الأمر وعلو شأنه، وأن

---

[1]) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل(ت316هـ)، (1988)الأصول في النحو، ط3، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1،ص329

[2]) التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر(ت792هـ)، (2001)المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم،ط1، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص430

[3]) المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد(ت285هـ)، (1963)المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ج4، ص233

[4]) ابن السراج، الأصول في النحو، ج2، ص329

المخاطَب كأنه غافل عنه بعيد"[1] . "وقد ينزل القريب منزل البعيد للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن فيُجعل بُعد المنزلة كأنه بُعد في المكان"[2]. "وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معان أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، كالإغراء والتحسر والزجر والملامة والاستغاثة والتعجب والندبة والاختصاص"[3].

وقد تعددت صيغ النداء في القصة القرآنية، فمنها ما جاء بإنزال القريب منزلة البعيد، أو إنزال البعيد منزلة القريب، ومنها ما جاء بصيغة حذف حرف النداء، ومنها ما جاء بصيغة حذف النداء مع إشارة السياق إليه.

وفيما يلي تطبيقات على ضروب النداء التي خرج فيها عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى في القصة القرآنية:

3.5 نماذج من النداء في القصة القرآنية وبيان المعاني التي أفادها:

أولاً: نماذج من النداء في قصة آدم عليه السلام: نادى الله تعالى آدم عليه السلام باستخدام صيغة نداء البعيد، فقال عز وجل:((يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ))[4]. مع أن آدم غير بعيد عن رب العزة الذي لا يجوز بحقه وصف البعد المكاني. ولكن لمّا استغرب الملائكة أن يجعل الله آدم خليفة في الأرض، أراد الله أن يكشف لملائكته عن فضل آدم وعلو شأنه، فعلّمه الأسماء كلها، ثم ناداه نداء البعيد مع قربه، فكان في ذلك النداء بيان علو مرتبة آدم عند ربه، وعرف الملائكة ذلك، فلما أمرهم ربهم بالسجود لآدم سجدوا، قال تعالى:((وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ))[5]. ونادى رب العزّة

---

[1]) التفتازاني، المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم،ص430

[2]) المراغي: أحمد مصطفى، (2002)علوم البلاغة، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، ص81

[3]) عتيق: عبد العزيز، (1970)علم المعاني،ط2،دار النهضة العربية، بيروت،ص127، والمراغي، علوم البلاغة،ص81

[4]) سورة البقرة، آية:33

[5]) سورة البقرة، آية:34

آدم–عليه السلام– مرة أخرى بصيغة نداء البعيد مع قربه، ليفيد النداء معنى توكيد علو شأن آدم ورفعة مرتبته، فقال تعالى:((وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا))[1].

ولما أكل آدم وزوجه من الشجرة التي أمرهما الله أن لا يأكلا منها؛ ناداهما –جل جلاله– بصيغة غير الصيغة الأولى، حيث جاء النداء محذوفاً دل عليه السياق، قال تعالى:((فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ))[2]. فالنداء هنا أفاد معنى آخر وهو "الملامة"، حيث استحقا لوم ربهما لإطاعتهما الشيطان وقد أخبرهما ربهما أنه لهما عدو مبين، وناداهما فقال تعالى:((فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ))[3]. والنداء هنا أفاد معنى التحذير لآدم ولزوجه من كيد الشيطان وعداوته، لكن الشيطان الذي عرف نقطتا ضعف آدم وهما: حب الخلود، وحب الملك، استطاع الإيقاع بآدم وحواء حتى أكلا من الشجرة ووقعا بالمعصية، فقد نادى إبليس آدم–عليه السلام– فقال تعالى:((قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ))[4]. فالنداء هنا جاء بصيغة نداء البعيد مع أن إبليس قريب مكانياً من آدم، وأفاد النداء معنى الإغراء، وتزين ارتكاب الفعل، والذي يدل على أن إبليس نادى آدم من مكان قريب، واستخدم صيغة نداء البعيد، هو ما ورد في قوله

---

[1]) سورة البقرة، آية:35

[2]) سورة الأعراف، آية:22

[3]) سورة طه، آية:117

[4]) سورة طه، آية:120

تعالى:((فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ))[1].

ولما أدرك آدم وحواء أنهما وقعا في المعصية واستحقا اللوم من الله تعالى، توجّها إليه بالنداء، قال تعالى:((قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ))[2].فالنداء هنا جاء بحذف الأداة، وذلك لأن الله تعالى لجلاله وعلو شأنه ولأنه قريب من عباده المؤمنين، جرى نداءه بصيغة نداء القريب، فحذفت أداة النداء لفظاً وبقيت على التقدير، وأفاد النداء معنى الرجاء والاسترحام والتلطّف في الطلب واستقصار المنادي لنفسه عن منزلة المنادى.

وكما نادى رب العزّة عبده آدم، نادى إبليس نداء البعيد، فقال تعالى:((قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ))[3]. وقال تعالى:((قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ))[4]. فهذا النداء جاء على صيغة نداء البعيد مع أن الله قريب من خلقه، ولكن استخدام نداء البعيد هنا أفاد معنى الزجر والتحقير لإبليس الذي ظن أنه من العالين وأنه خير من آدم. وكما خدع إبليس آدم–عليه السلام– أراد أن يخدع الله جل جلاله، فناداه نداء القريب متحبباً إليه متلطفاً معه ظناً منه أن ينجح في مسعاه، لكن الله تعالى يعلم ما توسوس به النفس، قال تعالى حكاية عن إبليس:((قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ))[5]، وهو بذلك يريد أن يتملّص من الموت فيبقى حياً إلى يوم يبعث الأموات وحينها لا يكون موت، لكن الله علم خبثه ومكره

[1]) سورة الأعراف، آية:20
[2]) سورة الأعراف، آية:23
[3]) سورة الحجر، آية:32
[4]) سورة ص، آية:75
[5]) سورة الحجر، آية:36

فقال:((قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ))[1]، ولما أدرك إبليس خيبته نادى ربه فقال الله على لسانه: ((قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ))[2].

وقد جاء نداء إبليس في المرة الثانية محذوف الأداة لفظاً، وأفاد معنى التحدي والإصرار على معاندة الخالق جلّ وعز.

ثانياً: نماذج من النداء في قصة نوح عليه السلام: تكرر ذكر قصة نوح عليه السلام في سور: الأعراف، ويونس، وهود، والمؤمنون، والشعراء، ونوح، وجاء في القصة أن الله بعث نوحاً إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله تعالى، وناداهم نداء البعيد مع أنه قريب منهم مكانياً، قال تعالى:((لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ))[3]، فالنداء هنا للقريب لكنه جاء بحرف "الياء" التي ينادى بها البعيد، ليفيد الإغراء بما أعد الله للمؤمنين والتحذير من العذاب الذي أعدّه لمن عصاه، ونادى نوح قومه نداء البعيد في قوله تعالى:((قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ))[4]، فدلّ ذلك على البعد العقَدي وغفلة المنادى وشرود ذهنه، فالقوم وإن كانوا قريبين من نوح مكانياً، إلا أنهم بعيدون منه إيمانياً، ولذلك ناداهم نداء البعيد، وناداهم نوح نداء البعيد لإفادة معنى الإغراء، فقال

[1]) سورة الحجر، آية:37-38
[2]) سورة الحجر، آية:39-40
[3]) سورة الأعراف، آية:59
[4]) سورة الأعراف، آية:62

تعالى: ((وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالاًۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ))[1]، وناداهم نداء البعيد لإفادة معنى التحذير فقال تعالى:((قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ))[2].

ولمّا أصر قوم نوح على تكذيبه واتهامه بالسفاهة والجنون، قال تعالى حاكياً عنهم:((إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ))[3]، توجه نوح إلى ربه فدعاه وسأله النصر، قال تعالى:((قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ))[4]. وجاء نداء نوح محذوف الأداة ليعطي معنى القرب من الله تعالى ويفيد معنى الاستغاثة عند نفاد الحيلة، فأتى نصر الله لنبيّه نوح عليه السلام، حيث أمره بصنع السفينة فصنعها، وأمره أن يحمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين ومن آمن معه، وأهله إلا امرأته، وأرسل الله الطوفان على الكافرين وكان منهم ابن نوح عليه السلام، فنادى نوح ابنه، قال تعالى: ((وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ))[5]. فكان النداء للبعيد قد أفاد معنى البعد المكاني والإيماني لابن نوح، وأفاد معنى الرجاء المنبعث من عاطفة الأبوّة، والخوف على ولده، وتحذيره من عاقبة الإصرار على الكفر. ولمّا أصر الولد على كفره، نادى نوح ربه فقال:((رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ))[6]. فجاء النداء محذوف الأداة ليفيد القرب الإلهي، وأن الله موجود على الدوام، فهو القائل: ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ))[7]، وأفاد النداء التشفّع وطلب الرحمة، لكن نوح وقع في محذور جرّاء هذا النداء، فقد سبق أن قال له ربه:((وَلَا

---

1) سورة هود، آية:29

2) سورة نوح، آية:2

3) سورة المؤمنون، آية:25

4) سورة المؤمنون، آية:26

5) سورة هود، آية:42

6) سورة هود، آية:45

7) سورة البقرة، آية:186

تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ))[1]، وابنه كان من الذين ظلموا، فلامه ربه على طلبه إنجاءه من الغرق، قال تعالى: ((قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ))[2]، وأيقن نوح أنه ارتكب ما لا يجوز في حق الخالق، فنادى ربه نداء القريب الحبيب، قال تعالى:((قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ))[3]، فجاء النداء محذوف الأداة ليؤكد نوح أنه ما زال على يقين من قربه إلى الله، وأن ما حصل منه كان خطأ يستحق الاستغفار، ونادى رب العزة نبيه نوحاً نداء البعيد فقال:((يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ))[4]، فجاء نداء الله لآدم بصيغة نداء البعيد ليفيد أن مكانة نوح عند ربه مازالت عالية، وأن منزلته عنده ما زالت عظيمة، ونادى نوح ربه نداء تلطّف وتأدّب، علّمه إيّاه جل جلاله، ليبين له أنه ما زال قريباً منه، وأنه على الهدى والسداد، وأن رعاية الله له مستمرة، قال تعالى: ((وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ))[5]، فالنداء هنا جاء محذوف الأداة ليشير إلى قرب المنادى. ولمّا كان الله هو الذي أمر نوحاً أن يناديه نداء القريب دلّ على القرب الإيماني من الله، فالقرب والبعد من الله لا يكون إلا في الإيمان أو عدمه، لأن الله موجود في كل مكان.

ثالثاً: نماذج من النداء في قصة إبراهيم عليه السلام: جاءت قصة سيّدنا إبراهيم عليه السلام في سور: البقرة، والأنعام، والتوبة، وهود، وإبراهيم، ومريم، والأنبياء،

---

[1]) سورة المؤمنون، آية:27

[2]) سورة هود، آية:46

[3]) سورة هود، آية:47

[4]) سورة هود، آية:48

[5]) سورة المؤمنون، آية:29

والشعراء، والنمل، والعنكبوت، والصافات، والذاريات، وقد تكرر النداء في هذه القصة أكثر من ثلاثين مرة، منها:

جاء في سورة مريم خبر حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر، قال تعالى:((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا))[1]، في هذا السياق القصصي تكرر النداء من إبراهيم عليه السلام إلى أبيه أربع مرات، استخدم فيها حرف "الياء" لنداء البعيد مع أنه قريب من أبيه مكانياً، حيث كان يجري الحوار بينه وبين أبيه، فيخاطب أباه ويرد عليه أباه بخطاب مباشر، قال تعالى على لسان آزر:((قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ))[2] فالنداء في المرة الأولى جاء على صيغة نداء البعيد، لأن آزر في حكم البعيد عن إبراهيم من حيث العقيدة، وناداه إبراهيم بهذه الصيغة استقصاراً لنفسه وتعظيماً لأبيه علّه يكسب ودّه فيهتدي، وأفاد النداء معنى التعجب من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عن عابده شيئاً. وفي المرة الثانية جاء النداء فأنزل القريب منزلة البعيد ليوحي إليه بعلو شأنه ورفعة منزلته عند المنادي ولإغرائه باتباع المنادي، وفي المرة الثالثة أنزل القريب منزلة البعيد لأنه في حكم الغافل الساهي عن دعوة الحق وأفاد النداء التحذير من عبادة الشيطان، وفي المرة الرابعة أُنزل القريب منزلة البعيد لإظهار شدّة الحرص على المنادى وبيان أهمية الأمر الذي يدعوه إليه المنادي. وعبّر نداء القريب بصيغة النداء البعيد عن وجود البعد الفكري ما بين طرفي النداء رغم قرب المسافة المكانيّة بينهما، وكشف عن ذلك نداء آزر لولده إبراهيم، حيث أفاد معنى الزجر، ذلك ما أفاده قول آزر:((أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ))، وتبع الزجر تهديد: ((لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ

---

[1]) سورة مريم، آية:42-45

[2]) سورة مريم، آية:46

وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا))[1]، وهنا يتّضح أن إبراهيم كان يُخاطب أباه عن قرب مكانيّ، وكذلك أبوه، فآزر عندما أراد معنى الزجر نادى إبراهيم فأنزله منزلة البعيد، وعندما أراد التحذير والتهديد خاطبه بصيغة القريب الحاضر،:((لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ)).

وفي قصة إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام، حيث رأى في المنام أنه يذبح إسماعيل، قال تعالى:((فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ))[2]، في هذا المقطع القصصي نادى إبراهيم عليه السلام ولده إسماعيل نداء البعيد مستخدماً "ياء" النداء مع قربه منه، لكنه أنزله منزلة البعيد لرفعة منزلته عنده وشدّة حبه له، كيف لا وهو غلام حليم وهبه الله إيّاه على الكبر، قال تعالى على لسان إبراهيم:((ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ))[3]، وبعد هذا يرى في المنام أنه يذبحه تقرّبا إلى الله تعالى، فناداه نداء العاشق للمعشوق، فاستخدم صيغة نداء البعيد مع قربه، ليُعبّر عن شدّة حرصه عليه، واستخدم صيغة التصغير "بُني" ليُعبّر بها عن التحبب وشدّة القرب، ويجيب الولد أباه بنداء على صيغة إنزال القريب منزلة البعيد فيقول:((يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ))، ليعبّر عن علو شأن أبيه عنده، وأنه رغم قربه المكاني منه، إلا أنه عالي المنزلة في نفسه إلى درجة جعلته ينزله منزلة البعيد مكانياً، وهذا النداء من الأب وابنه يفيد كم هي عالية منزلة كل واحد منهما عند الآخر! ولكن حب الله والرغبة بمرضاته أكبر من حبهما لبعضهما.

رابعاً: نماذج من النداء في قصص مريم وزكريا ويحيى عليهم السلام: جاء في قصة مريم ابنة عمران أن أمها "كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت، فبينا هي في ظل شجرة،

---

[1]) سورة مريم، آية:46

[2]) سورة الصافات، آية:101-102

[3]) سورة إبراهيم، آية:39

بصرت بطائر يطعم فرخاً له، فتحركت نفسها للولد وتمنّته فقالت: اللهم إن لك علي نذراً شكراً أن رزقتني ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمه، فحملت بمريم"[1]. وأخبر الله تعالى عن ذلك بقوله:((إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ))[2]، وهنا جاء النداء محذوف الأداة إذ المنادى قريب، وهو السميع العليم، وأفاد النداء معنى الشكر لله على فضله، وكانت امرأة عمران ترجو أن يكون الذي حملت به ولداً ذكراً، فلمّا وضعتها أنثى، نادت ربها نداء تحسر فقالت: ((رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ))[3]. يقول الزمخشري في قولها:"رب إني وضعتها أنثى"؛ "قالته تحسراً على ما رأت من خيبة رجائها، وعكس تقديرها، فتحزّنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدّر أن تلد ذكراً"[4].

لمّا كبرت مريم وتكفّلها زوج خالتها زكريا عليه السلام، وبنى لها محراباً كانت تتعبّد فيه، ولا يدخل عليها أحد سواه[5]. وكان زكريا إذا دخل عليها وجد عندها رزقاً لم يعهده في موسمه، "قيل كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء"[6]، فناداها زكريا نداء تعجّب، قال تعالى:((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))[7]، فالنداء هنا جاء بصيغة إنزال القريب منزلة البعيد، حيث استخدم "ياء" النداء مع أنه يخاطب مريم وجاهة، ولكن لما تعجّب مما شاهده من أمر مريم، ناداها نداء

---

[1]) الزمخشري، الكشاف، ج1،ص425
[2]) سورة آل عمران، آية:35
[3]) سورة آل عمران، آية:36
[4]) الزمخشري، الكشاف، ج1،ص425
[5]) المصدر نفسه ، ص427
[6]) المصدر نفسه، ص427
[7]) سورة آل عمران،آية:37

البعيد تعجّباً، وكان ما شاهده من كرم الله وفضله على مريم مغرياً له أن يطلب من ربه الولد، قال تعالى: ((هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ))[1]. وقد نادى زكريا ربه نداء القريب فلم يأت بأداة النداء، وذلك تأدباً مع الله فهو لا يغفل فيحتاج إلى تنبيه بحرف نداء، ولا يشغله شيء عن شيء فيحتاج إلى طلب انتباه، وقد نادى الأنبياء كلّهم والصالحون رب العالمين جلّ وعز نداء القريب، لأنه قريب من عباده ولا يجوز بحقه غفلة ولا سهو ولا انشغال، حتى إبليس لما دعا ربه ناداه نداء القريب جرياً على طريقة الأنبياء والصالحين، وما هو منهم، فقال: ((رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ))[2]. وقد أفاد نداء زكريا معنى الدعاء وطلب الأمر المحبب، ولما استجاب الله لنداء زكريا، وبشّرته الملائكة بولد اسمه يحيى، نادى ربه نداء تعجّب، قال تعالى:((قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ))[3]، فأتاه الجواب بأن الله يفعل ما يشاء، فنادى ربه مرة أخرى بصيغة نداء القريب فحذف الأداة، قال تعالى:((قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً))[4]، وأفاد النداء هنا معنى الاستغاثة والرجاء.

ونادت الملائكة مريم عليها السلام فقال تعالى:((وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ))[5]. في هذا النداء جرى إنزال القريب منزلة البعيد تعظيماً لشأنها، وبياناً لعلو مرتبتها، وأي مرتبة أعلى من مرتبة من طهّرها الله

---

[1]) سورة آل عمران، آية:38

[2]) سورة الحجر، آية:36

[3]) سورة آل عمران، آية:40

[4]) سورة آل عمران، آية:41

[5]) سورة آل عمران، آية:42–43

واصطفاها على نساء العالمين، فكانت أمّاً لنبي من أنبيائه، ومعجزة من معجزاته، فولدت نبياً بغير أب وهو عيسى عليه السلام.

ونادى الله تعالى يحيى بن زكريا عليهما السلام، فقال تعالى:((يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا))[1]، والنداء هنا جاء على صيغة إنزال القريب منزلة البعيد مع قربه من الله تعالى في المكان والإيمان، وأفاد هذا النداء بيان عظيم شأن يحيى عند الله وعلو منزلته، وقد نادى الله تعالى جميع أنبيائه بصيغة نداء البعيد مع قربهم منه جلّ وعز، لبيان فضلهم على العالمين وعلو شأنهم ورفعة منزلتهم عنده تبارك وتعالى، فقد نادى آدم عليه السلام بياء النداء:((يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ))[2]، ونادى نوح عليه السلام فقال: ((قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَـٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ))[3]، نادى إبراهيم عليه السلام فقال: ((وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ))[4]، ونادى موسى فقال تعالى:((قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ))[5]، ونادى عيسى ابن مريم فقال:((إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ))[6]، ونادى محمداً صلى الله عليه وسلم فقال:((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا))[7]، ولم يناد نبياً بصفته إلا محمداً صلى الله عليه وسلم، فقد ناداه الله تعالى بقوله:((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ)) في الأنفال الآيات: 64، 65، 70، وفي التوبة/73، وفي

---

[1]) سورة مريم، آية:12

[2]) سورة البقرة، آية:33

[3]) سورة هود، آية:48

[4]) سورة الصافات، آية:104

[5]) سورة الأعراف، آية:144

[6]) سورة المائدة، آية:110

[7]) سورة الأحزاب، آية:45

الأحزاب الآيات:1، 28، 45، 50، 59، وفي الممتحنة/12، والطلاق/1،والتحريم/1، 9. وناداه الله تعالى بصفته رسول، فقال تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ)) في المائدة: 41، 67، وقد أفاد هذا النداء التأكيد على نبوّته وتعظيم شأنه، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي لكل الأمم سابقها ولاحقها، وهو الرسول للناس كافة، أما الأنبياء والرسل الآخرون عليهم جميعاً السلام، فقد كان كل منهم مرسلاً إلى قومه، وكانت كل رسالة من الرسالات السابقة مختصة بجانب من جوانب الدين، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكمل الله له الدين وأتمّ عليه وعلى الناس النعمة، قال تعالى:((ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا))[1].

خامساً: نماذج من النداء في قصة يوسف عليه السلام: جاءت قصة يوسف عليه السلام مختلفة عن باقي القصص في القرآن الكريم، حيث اجتمعت أحداثها كاملة في سورة واحدة، هي سورة يوسف، وهذه القصة عرضت خبر يوسف عليه السلام مع أبيه ثم مع إخوته ثم مع السيّارة، ثم مع عزيز مصر، ثم مع زوجة العزيز، وباقي النسوة من صويحباتها، ثم مع السجينين اللذين دخلا معه السجن، ثم مع عزيز مصر مرة أخرى، ثم مع إخوته مرة أخرى ثم مع أبويه، وجاء في سياق هذه القصة أساليب نداء مختلفة المعاني منها:

لمّا رأى يوسف في المنام أن الكواكب والشمس والقمر ساجدين له، نادى أباه ليخبره الأمر، قال تعالى:((إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ))[2]، في هذا النداء جرى إنزال القريب منزلة البعيد لعلوّ شأنه عند المنادي ولاستقصار المنادي نفسه عن منزلة والده المنادى، وأجاب يعقوب ولده يوسف بنداء جاء على صيغة إنزال القريب منزلة البعيد، قال تعالى:((قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا

[1]) سورة المائدة، آية :3

[2]) سورة يوسف، آية:4

تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا))[1]، فأفاد النداء التحبّب والتحذير، إذ تَبِع ياء النداء تصغير للتحبب ونهي مع التحذير من كيد الأخوة. ونادى إخوة يوسف أباهم نداء البعيد مع قربه المكاني منهم، فقالوا:((يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ))[2]، فكان في هذا النداء تعظيم للأب ودلالة على علو شأنه، وتعجب من عدم ائتمانهم على يوسف، مع إظهارهم النصح له. وبعد أن احتال الإخوة على أبيهم أرسل يوسف معهم، فألقوه في غيابة الجب، وجاءت سيّارة فوجده أحدهم، فنادى نداء المتفجع سروراً بما وجد، قال تعالى:((وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ))[3]، فالمنادي هنا ينادي شيئاً معنوياً وهي البشرى، واستخدم لها نداء البعيد ليفيد تعظيم هذه البشرى بالعثور على الغلام الجميل يوسف.

وفي قصة يوسف مع امرأة العزيز، وبعد أن ثبتت براءته مما اتهمته به، من خلال شهادة الشاهد من أهلها واعتماده على بينة القميص، نادى الشاهد، وقيل أن المنادي زوج المرأة فقال:((يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ))[4]، فقد جاء النداء محذوف الأداة، والتقدير – يا يوسف– وأفاد النداء الاعتذار من يوسف بعد أن ظهرت براءته من تهمة امرأة العزيز، وفي النداء ما يوحي بالرجاء ليوسف ليتجاوز عن خطأ زوجة سيّده ولا يذكره. جاء في تفسير الكشّاف: "حذف حرف النداء لأنه منادى قريب مُفاطِن للحديث، وفيه تقريب له وتلطيف لمحلّه"[5].

---

[1]) سورة يوسف، آية:5

[2]) سورة يوسف، آية:11

[3]) سورة يوسف، آية:19

[4]) سورة يوسف، آية:29

[5]) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص315

ولما دخل يوسف السجن ودخل معه فتَيان من فتيان الملك، ناداهما يوسف، فقال تعالى:((يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ))[1]، وفي هذا النداء جرى إنزال القريب منزلة البعيد لغفلته وشرود ذهنه، إذ الفتيان كانا في حالة غفلة عن عبادة الله، وكانا بعيدين عن يوسف إيمانياً، فاقتضى مناداتهما بصيغة نداء البعيد مع قربهما. وبعد أن سمع منهما رؤياهما ناداهما نداء البعيد مع قربهما فقال:((يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ))[2]، فأفاد النداء المكرر توكيد التنبيه لشدّة ما فيهما من الغفلة والسهو عن عبادة الله، واتخاذهما الأرباب من دونه، ولما جاء ساقي ملك مصر إلى يوسف ليفتيه في رؤيا الملك ناداه فقال:((يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا))[3]، فجاء النداء بغير أداة ملفوظة، ثم جاء نداء آخر باستخدام حرف النداء "أي" مقروناً مع "الهاء" ليفيد اختصاص يوسف بالصدق.

وجاء النداء في قصة يوسف ليفيد معنى الندبة والتحسّر، فبعد أن عاد إخوة يوسف من مصر بغير أخيهم بنيامين، وأخبروا أباهم أن ابنه سرق وأنه أُخِذ بجُرم السرقة، تحسّر يعقوب على ولديه يوسف وبنيامين، قال تعالى:((وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ))[4]، ففي هذا النداء استخدم "ياء" النداء التي فيها المدّ الذي يناسب تدفق عواطف الأسى والحزن على فقد ولديه عليهما السلام، ولما عاد إخوة يوسف إلى مصر للبحث عن إخوتهم نزولاً عند رغبة أبيهم، دخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه، ونادوه نداء البعيد مع قربه المكاني، وذلك لعلو شأنه ورفعة منزلته، فقالوا:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ

[1]) سورة يوسف، آية:39

[2]) سورة يوسف، آية:41

[3]) سورة يوسف، آية:46

[4]) سورة يوسف، آية: 84

عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ))[1]، فأفاد نداء القريب بصيغة البعيد تعظيم شأن يوسف واستلطافه والتذلل إليه، ولعلّ ذلك كان من إخوة يوسف اختباراً له، إذ من المحتمل أن تكون قد توفرت لديهم بعض المعلومات التي تفيد بأن العزيز هو يوسف، فأرادوا اختبار معدنه، فعطفه على الضعيف، وإغاثة المحتاج من مؤشرات فضل الأنبياء. ولعلّ يوسف عندما سمع كلام إخوته الذي يشي بالانكسار والمسكنة، تحرّكت عواطفه تجاههم فسارع بالكشف عن نفسه ليجبر كسرهم، قال تعالى على لسان يوسف: ((قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ))[2]، فلمّا سمعوا كلام يوسف الذي يكشف عن دراية بأمرهم مع أخويهم، وقع في نفوسهم أنه هو يوسف، قال تعالى على لسانهم:((قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ))[3] فقد أكّدوا كلامهم مرتين، الأولى بحرف التوكيد "إنّ" في "إنّك"، والثانية في "اللام" في "لأنت"، وكشف يوسف عن نفسه صراحة فقال: ((قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي))[4]، وبذلك ظهرت سجيّة الأنبياء، وهي الصفح وإغاثة الملهوف وإجابة المضطر.

سادساً: نماذج من النداء في قصة موسى عليه السلام: جاءت أحداث قصة موسى عليه السلام موزعة في سبع عشرة سورة من سور القرآن الكريم[5]، وتعددت أنماط الخطاب فيها، فكانت حصة النداء فيها ما يقارب الخمسين مرة، تعددت فيها أغراضه وأساليبه من حيث ذكر الأداة وحذفها وإنزال القريب منزلة البعيد وإنزال البعيد منزلة القريب لأغراض بلاغية، ومن تلك الأنماط: قال تعالى:((وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ

---

1) سورة يوسف، آية:88

2) سورة يوسف، آية:89

3) سورة يوسف، آية:90

4) سورة يوسف، آية:90

5) سور: البقرة، المائدة، الأعراف، يونس، الإسراء، الكهف، مريم، طه، الأنبيا، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، غافر، الدخان، الزخرف، النازعات.

قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ))[1]، فالنداء هنا جرى فيه إنزال القريب منزلة البعيد لتنبيهه إلى أهمية الأمر الذي يدعى إليه، والذي يشير إلى أن المنادى كان قريباً من المنادي: هو طبيعة الخبر الذي أراد المنادي إيصاله لموسى، فهو أمر يحتاج إلى السريّة، لأن فيه معلومات عن خطة قوم فرعون وتدبيرهم لقتل موسى، ومثل هذا الأمر لا بد أن يتم التعامل معه بسرية، وإيصاله إلى صاحب العلاقة دون سواه، فالمنادي يريد أن ينقل خبراً سريّاً ويضمن كتمانه عن جند فرعون، ولذلك لا بد من نقله إلى موسى عن قرب، ولكن لأهمية الخبر وضرورة انتباه المنادى إليه، تم إنزال المنادى منزلة الغافل البعيد، فقال تعالى:((قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ))، وفي قوله تعالى:((قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ))[2]، نادى موسى ربه نداء استغاثة، بعد أن خرج من المدينة خائفاً يترقب، مستفيداً من المعلومات التي أوصلها إليه المخبر السري، وجاء النداء محذوف الأداة "رَبِّ نَجِّنِي" ليفيد معنى الثقة بأن الله قريب السماع وقريب الاستجابة، وهو كذلك قريب التوبة والمغفرة. وفيما جاء على لسان موسى بعد أن قتل قبطيّاً تشاجر مع إسرائيلي، فاستغاثه الإسرائيلي، قال تعالى:((قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي))[3]، جاء النداء محذوف الأداة، فأفاد طلب المغفرة بعد الاعتراف بالذنب. ولما ذهب موسى إلى مدين ووجد امرأتين تذودان، فسقى لهما وتولى إلى الظل، نادى ربه فقال:((رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٍ فَقِيرٌ))[4]، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى الشكر على النعمة.

[1]) سورة القصص، آية:20

[2]) سورة القصص، آية:21

[3]) سورة القصص، آية:16

[4]) سورة القصص، آية:24

ونادت ابنة شعيب أباها نداء البعيد مع قربه، قال تعالى:((قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ))[1]، فخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى الإغراء، وإنزال القريب منزلة البعيد لعلو شأنه ورفعة منزلته.

وأثناء عودة موسى بأهله من مدين إلى مصر، رأى ناراً، فأتاها لعله يجد عندها الهدى أو يأخذ منها قبساً ينتفع به، ناداه الله تعالى:((فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ))[2]، فأنزل القريب منزلة البعيد، تعظيماً له، وتطميناً لقلبه، فهو لم ير المنادي رغم قربه منه، إذ المنادي هو الله، وهو قريب من عباده، والله تعالى لا تدركه الأبصار، ونادى موسى نداء البعيد لبُعد ما بين الخالق والمخلوق من الصفات. فالله تعالى ليس كمثله شيء. وجاء النداء من الله تعالى إلى موسى على مثل هذه الصيغة في قوله تعالى:((يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ))[3]، وفي قوله تعالى: ((فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى))[4].

ولما جاء موسى وهارون إلى فرعون وعرضا عليه اتباع دين الله، قال لهما:((قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ))[5]، فنداء فرعون لموسى وهارون أُنزل فيه القريب منزلة البعيد لإفادة معنى السخرية، ذلك لأن فرعون ادعى الربوبية ولم يؤمن بوجود إله سواه، ولذلك كان في هذا النداء معنى السخرية من موسى وهارون عليهما السلام.

ولما أراد فرعون أن يقتل موسى، واستشار قومه في ذلك، قام له رجل من قومه مؤمن مع موسى، ونادى فرعون وقومه نداءً متكرراً أفاد معانٍ متعددة، ففي قوله تعالى

---

[1]) سورة القصص، آية:26

[2]) سورة القصص، آية:30

[3]) سورة النمل، آية:9

[4]) سورة طه، آية:11−12

[5]) سورة طه، آية:49

على لسان مؤمن آل فرعون:((يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا))[1]، نادى قومه نداء البعيد لشدة غفلتهم ولإظهار حرصه عليهم، وتحذيرهم من بأس الله الذي يمكن أن يحل بهم إن هم قتلوا موسى، ثم ناداهم ثانية فقال:((وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ))[2]، فأنزلهم منزلة البعيد لبعدهم عن جادّة الصواب، وللتأكيد على أنه منهم، وهو حريص عليهم، فأفاد النداء التحذير، ثم ناداهم الثالثة فقال:((وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ))[3]فجعلهم في منزلة البعيد لبيان خطورة الأمر الذي يحذرهم منه، وليضع أمام أعينهم حتميّة نزول العذاب بهم من رب موسى الذي لا عاصم للظالمين من بطشه، ثم ناداهم الرابعة فقال:((يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ))[4]، فخرج النداء إلى معنى الإغراء، ثم أتبعه بالخامسة فقال:((يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ))[5]، فجعل في هذا النداء معنى الإغراء في الآخرة والتحذير من الاغترار بالدنيا، ثم ناداهم السادسة فقال: ((وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ))[6]، فخرج النداء إلى معنى التعجب من سفاهة قومه وفساد رأيهم. وفي هذه النداءات المتكررة كان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، ويُظهر الحرص على قومه، ويؤكد لهم قربه منهم ليكون بذلك أدعى لاستجابتهم له، فيحقق بذلك حماية موسى من بطش فرعون، ونجاة قومه من مغبّة الكفر ومعصية الله تعالى.

---

[1]) سورة غافر، آية:29

[2]) سورة غافر، آية:30

[3]) سورة غافر، آية:32

[4]) سورة غاف، آية ر:38

[5]) سورة غافر، آية:39

[6]) سورة غافر، آية:41

ولما وقع العذاب على قوم فرعون، نادوا موسى، قال تعالى:((وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ))[1]، فجاء النداء هنا ليفيد معنى التعظيم لموسى، لعلّه يشفع لهم عند ربه فيكشف عنهم العذاب، وقد كانوا ينادون علماءهم بلفظ "الساحر" وكان خطابهم لموسى بهذا اللفظ تقرباً إليه لحاجتهم وحرصهم على أرواحهم[2]. ولكن قوم فرعون ليس لهم عهد، ذلك ما قال الله تعالى فيهم:((فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ))[3]، واستحقر فرعون قومه فناداهم نداء تكبر وتبجّح، قال تعالى:((وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَـٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَـٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ))[4]، ففي هذا النداء أنزل فرعون قومه منزلة البعيد مع قربهم منه، ليفيد النداء معنى بُعد المنزلة بين فرعون وقومه، وقد أخبر الله عن خفيٍّ سر فرعون فقال:((فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ))[5].

وقصة موسى عليه السلام هي أطول القصص في القرآن الكريم. وقد تكرر النداء فيها قرابة خمسٍ وخمسين مرة.

أما النداء في القصص القرآني بشكل عام فقد جاء في قرابة ثلاثين ومائتي مرة. منها ما استخدمت فيه أداة النداء "يا" ومنها ما استخدمت فيه أداة النداء "أي" ومنها ما استخدمت أداة النداء "يا" مع "أي" مع "هاء" للتنبيه، ومنها ما حذفت فيها أداة النداء، ومنها ما أشار النص إلى النداء إشارة. وفيما يلي بيان عدد المرات التي ورد فيها كل حرف من حروف النداء التي أحصيتها في القصص القرآني:

تكرر النداء باستخدام: حرف **الياء** ست وأربعون ومائة مرة.

تكرر النداء باستخدام: **يا أيها** عشرة مرات.

---

[1]) سورة الزخرف، آية:49

[2]) الشوكاني، فتح القدير، عالم المعرفة، ج4،ص559

[3]) سورة الزخرف، آية:50

[4]) سورة الزخرف، آية:51

[5]) سورة الزخرف، آية:54

تكرر النداء **بحذف الأداة** خمس وستون مرة.

تكرر النداء بالحرف **أي مع الهاء** مرتان.

وردت الإشارة إلى النداء دون استخدام أداة أو ذكر المنادي أو المنادى عليه سبع مرات[1].

والناظر في أساليب النداء المذكورة يجد أن النداء باستخدام حرف "الياء" هو الأكثر وروداً في القصة القرآنية، ويشير ذلك إن حرف "الياء" هو أكثر حروف النداء تحقيقاً لغاية المنادي، فهو يأتي لتنبيه البعيد بعداً مكانياً، لما فيه من مدّ الصوت، ويأتي لتنبيه البعيد بُعداً معنوياً لما فيه من القدرة على تنبيه الغافل والمعرض والمستثقل، ويأتي للإشارة إلى علو شأن المنادى ورفعة منزلته، ويأتي لتحقير المنادى أو للسخرية منه، ويأتي للتحذير وللاستغاثة وللتمني والتحسّر، فهو بذلك يصلُح لجميع ضروب النداء.

وأما النداء بحذف الأداة فقد كان أكثر وروده على ألسنة الأنبياء إذ ينادون ربهم، لإيمانهم بأنه قريب مجيب لا يغفل ولا يغيب، والنداء بغير أداة يفيد التلطّف مع المنادى والإجلال له. أما النداء بالهمزة أو بالهاء فلم أجد له ذكراً في القصة القرآنية، ولم أجد – فيما اطّلعت عليه– تعليل لذلك.

فتبارك الله القائل:((وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً))[2]، وأعوذ بالله السميع العليم من أن أتقوّل على القرآن العظيم أو أدّعي علم ما لم أعلم، وإن كان وقع مني ما لا يوافقه معنى آي الذكر الحكيم فإني استغفر الله وأتوب إليه.

---

[1]) نحو: ما ورد في سورة الأعراف، **آية**:22 ((وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ))

[2]) سورة الإسراء،**آية**:85

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة نماذج من أساليب بناء المعنى في القصة القرآنية، دراسة أسلوبية بلاغية، فارتكزت على دراسة أساليب التشبيه والتمثيل والإيحاء والنداء، باعتبارها أساليب بلاغية بها يستدل على ما لم يكن بما كان، يقول الإمام علي رضي الله عنه:"أستدل على ما لم يكن بما كان، فإن الأمور أشباه"[1].

وهذه الأساليب قادرة على تحقيق أهداف القرآن العظيم التي تتلخص بتحقيق سعادتَيْ الدنيا والآخرة لبني البشر، من خلال الموازنة بين مطالب الروح والجسد، فغذاء الروح الإيمان والتقوى، وغذاء الجسد لزوم الطيبات واجتناب الخبائث، وفي أسلوب القصة القرآنية حثٌّ على التزام هذه الأسس وترغيب فيها وإغراء ووعد لمن حرص عليها، وتحذير وزجر ووعيد لمن اتبع هواه وخالف خالقه ومولاه. ولم تأت القصة القرآنية لتقرير هدف واحد، بل كانت لها أهداف كثيرة وغايات متعددة، سعت من خلالها إلى تعميق العقيدة في النفوس، وتبصير العقول بها، وإحياء القلوب، من خلال أحسن الطرق إمتاعاً وإقناعاً، مع التركيز على إثبات وحدانية الله وعدله وقدرته وحكمته.

ففي استخدام أسلوبي التشبيه والتمثيل في بناء المعاني في القصة القرآنية؛ تجلّى معنى اسم الله الرؤوف بعباده الحريص على هدايتهم إلى طاعته اقتناعاً بالحجّة العقليّة، مع قدرته على تصريف عقولهم على النحو الذي يشاء.

كما ظهر من خلال استخدام الأسلوب الإيحائي في بناء المعاني أن اللغة العربية قادرة على توليد المعاني بحسب قدرة المتلقي على التفاعل مع النص، واستخدامه ثقافته وخبراته، فالنظم العربي مؤهل للتعبير بدقة واقتدار عن كل أفكار الناس ومعانيهم المستورة في صدورهم.

وفي تعدد صيغ استخدام النداء في القصة القرآنية ظهرت قدرة اللغة العربية على توليد المعاني المختلفة من صيغ نداء متشابهة.

---

[1]) ابن أبي طالب: الإمام علي،(2006) نهج البلاغة، ط1، جمعه الشريف الرضي، تقديم وشرح: الشيخ محمد عبده، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة، ص393

والقصة القرآنية في معالجتها لقضايا اجتماعية، واقتصادية، وقانونية، وعسكرية، وسياسية، -كما ظهر في هذا البحث- تؤكد قدرة القصة العربية على التعبير عن أغراض المجتمع الإنساني بأساليب مباشرة أحياناً، وغير مباشرة أحياناً أخرى.

والأمر الذي لابد من التأكيد عليه في ختام هذا البحث هو أن القصة القرآنية مَعين علوم لا ينضب، فيه نماذج للاقتداء، والاحتذاء، والقياس، والاعتبار، والإقناع، ما لا نجده في نص آخر، ذلك لأن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصدق الله العظيم إذ يقول:((مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ))[1]، وله الحمد أن جعل في القصة القرآنية الاعتبار لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال تعالى:((فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ))[2]، اللهم اجعلنا ممن يتفكرون وينتفعون بالقرآن العظيم والحمد لله رب العالمين.

---

[1]) سورة الأنعام، **آية**: 38

[2]) سورة الأعراف، **آية**:176

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن أبي طالب: الإمام علي، (2006)**نهج البلاغة**، ط1، جمع الشريف الرضي، تقديم وشرح: الشيخ محمد عبده، مؤسسة المختار للنشر، القاهرة.

ابن الأثير: ضياء الدين نصر الله أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت637هـ)، (1998)**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط1،تحقيق: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية،بيروت.

ابن جعفر: قدامة(260-327هـ)،(د.ت)**نقد الشعر**،ط5، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت.

ابن جني: أبو الفتح عثمان(ت392هـ)، (1986)**الخصائص** صنعة أبي الفتح عثمان، ط3، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتب.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي، (2004)**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، علّق عليه: أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علّوش،ط1، مكتبة الرشد، بيروت.

ابن خلدون: عبد الرحمن(ت808هـ)، (2003)**مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ط8، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن السراج: أبو بكر محمد بن سهل(ت316هـ)، (1988)**الأصول في النحو**، ط3، تحقيق: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن زكريا الرازي، (1993)**الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت.

ابن كثير: إسماعيل بن كثير(ت774هـ)، (1981)**مختصر تفسير ابن كثير**، ط7، تحقيق: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.

ابن كثير: إسماعيل، (1982)**قصص الأنبياء**،ط2، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، المكتبة الإسلامية، بيروت.

ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري(ت711هـ)، (2003)**لسان العرب**،،ط1، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن وهب: أبو الحسن إسحق بن إبراهيم بن سليمان الكاتب،(1967)**البرهان في وجوه البيان**، ط1، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد.

الاسكندري: أحمد بن محمد بن المنير، (1966)**الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال**، المطبوع مع كتاب الكشاف للزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ايمانويل فريس و برنار موراليس،(2004) **الاتصال الأدبي**، ترجمة: لطيف زيتوني، قضايا أدبية عامة، عالم المعرفة، العدد(300).

أبو داوود: سليمان بن الأشعث السجستاني(202−275هـ)، (2004)**سنن أبي داوود**، كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، بيت الأفكار الدولية،عمان.

أرسطو: (1900)**فن الشعر**، ترجمة وتقديم: إبراهيم حمادة، مكتبة الإنجلو المصرية.

أنيس: إبراهيم وآخرون، (1992)**المعجم الوسيط**، ط2، دار المعارف، القاهرة.

أولمان: ستيفن، (1997)**دور الكلمة في اللغة**، ط12، ترجمة: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

إيسر: فولفجانج، (1984) **فعل القراءة**، ط3، ترجمة، عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة، بغداد.

البحيري: سعيد حسن، (1997)**علم لغة النص**، نشر: لونجيمان، القاهرة.

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (د.ت)**صحيح البخاري** بحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت.

البغدادي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن داوود بن ناقيا،(1980) **الجمان في تشبيهات القرآن**، تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالإسكندرية.

البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (1988)**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية، بيروت.

التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر(ت792هـ)، (2001)**المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم**، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

تومبكنز: جين ب، (1999) **نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية**، مقالة: فولفجاج إيسر، **عملية القراءة مقترن ظاهراتي**، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، مراجعة وتقديم: محمد جواد حسن الموسوي، المشروع القومي للترجمة، بغداد.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (1975)**البيان والتبيين**،ط4، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، بيروت.

الجاحظ: أبو عثمان ، (1938)**كتاب الحيوان**، ط1، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد(ت471هـ)، (1999)**أسرار البلاغة**،ط2، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت.

الجرجاني: عبد القاهر،(1992) **دلائل الإعجاز**، ط3، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

حمودة: عبد العزيز، (2003)**الخروج من التيه،نظرية التلقي، وعالم المعرفة**، العدد(298)، الصفحة(138).

الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، (1955)**لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

الرازي: فخر الدين محمد بن عمر(ت604هـ)، (1990)**التفسير الكبير**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

راي: وليم، (1984)**المعنى الأدبي**،ط1،ترجمة:يونيل يوسف عزيز،دار المأمون، بغداد.

الرباعي: ربى عبد القادر،(2006)**المعنى الشعري وجماليات التلقي في التراث النقدي والبلاغي**،ط1،دار جرير، عمان.

رشدي: رشاد، (1977)**ما هو الأدب**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

الزبيدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله(316-379هـ)،(1996)**مختصر العين**، ط1،تحقيق:نور حامد الشاذي، عالم الكتب، بيروت.

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، (1988)**البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت.

الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(467-538هـ)، (1966)**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين، (1986)**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت.

الشعراوي: محمد متولي،(د.ت) **القصص القرآني في سورة الكهف**، مؤسسة أخبار اليوم المصرية، مؤسسة أخبار اليوم المصرية، القاهرة.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد(ت1250هـ)، (1997)**فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير**، ط2،تحقيق:عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، المنصورة.

ضيف: شوقي،(د.ت) **شوقي شاعر العصر الحديث**، ط11، دار المعارف، القاهرة.

طبانة: بدوي، (1986)**البيان العربي**، دار الثقافة، بيروت.

الطيبي: شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله(ت743هـ)، (2004)**التبيان في البيان**، ط1، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت.

عباس: إحسان،(1993) **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الشروق، عمان.

عبد الباقي: محمد فؤاد، (1981)**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**،ط2، باب الخاء، دار الفكر، بيروت.

عبد الرحيم: عبد الجليل، (1992)**التفسير الموضوعي للقرآن في كفتي الميزان**، ط1، عمان.

عبد النور: جبور،(1979) **المعجم الأدبي**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت.

عتيق: عبد العزيز، (1970)**علم البديع في البلاغة العربية**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت.

عتيق: عبد العزيز، (1971)**علم البيان في البلاغة العربية**، دار النهضة العربية، بيروت.

عتيق:عبد العزيز، (1971)**علم المعاني في البلاغة العربية**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت.

العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (1952)**كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، ط1، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

العلوي: محمد بن أحمد بن طباطبا، (1982)**عيار الشعر**،ط1، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت.

العلوي: يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم،(1988) **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، دار الكتب العلمية، بيروت.

الغذامي: عبد الله محمد،(1998) **الخطيئة والتكفير**، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القرطاجنّي: أبو الحسن حازم(ت684هـ)، (1966)**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجه، دار الكتب الشرقية، تونس.

القزويني: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(ت739هـ)، (1980)**الإيضاح في علوم البلاغة**،ط5، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

القلقشندي: أحمد بن علي، (1987)**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، شرح وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت.

القيرواني: أبو علي الحسن بن رشيق(390-456هـ)، (1981)**العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**،ط5، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد(ت285هـ)، (1900)**الكامل في اللغة والأدب**،مؤسسة المعارف، بيروت.

المبرد: أبو العباس، (1963)**المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

المراغي: أحمد مصطفى، (2002)**علوم البلاغة**، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت.

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(204-261هـ)، (1999)**صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، ط1، تحقيق: محمد بن نزار تميم وهيثم تميم، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

مطلوب: أحمد، (1967)**القزويني وشرح التلخيص**،ط1، مطابع دار التضامن، بغداد.

مطلوب: أحمد، (1996)**معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**،ط2، مكتبة لبنان ناشرون.

المقري التلمساني: أحمد بن محمد، (1968)**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت.

مندور: محمد، (1973)**في الميزان الجديد**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

ناصف: مصطفى،(1981) **نظرية المعنى في النقد الأدبي**،ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت.

النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، (1955)**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، المطبوع مع لباب التأويل للخازن، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف(ت671هـ)، (1973) **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**،ط1، علّق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتاب العربي، بيروت.

النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم، (1980)**المستدرك على الصحيحين**، دار الكتاب العربي، بيروت.

الهندي: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين(ت975هـ)،(1993) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبطه الشيخ بكري حيّاني والشيخ مسعود السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت.

السيرة الذاتية

المعلومات الشخصية: .

الاسم	:أحمد علي حسين الربابعة
تاريخ الولادة	:1952/1/1م
مكان الولادة	:جديتا-إربد
الحالة الاجتماعية	:متزوج
العنوان	:إربد-أيدون-الحي الغربي
رقم الهاتف	:02-7101698
	:0777408805

المؤهلات العلمية: .

1. بكالوريوس لغة عربية- جامعة بيروت العربية-1975.
2. ماجستير لغة عربية/ أدب ونقد- جامعة جوبا-2001.

الخبرات العملية: .

1. كاتب في دائرة الآثار العامة-1971.
2. كاتب في دائرة الجوازات العامة-1973.
3. ضابط في المخابرات العامة-1976 وتقاعد منها برتبة عقيد عام 1997.
4. مدير خدمات في جامعة جرش-1997.
5. مدرس في جامعة جرش-2001.

المهارات: .

1. إجادة اللغة الإنجليزية، كتابة ومحادثة.
2. محرر صحفي.